المختار من فرائد النقول والأخبار

القسم الأول

اختيار وتعليق
محمد عوامة



الطّبعة الثانية
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار البشائر الإسلاميّة
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١٧ / ٦ / ٤٢ / ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد النبيِّ الأميِّ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذه مجموعةٌ مختارة من كتاب الله عزّ وجل بابِ السعادة وأساسِها؛ ومن سُنَّةِ النبيِّ الكريم ﷺ السراجِ المنيرِ لهداية الخَلْق إلى الحق؛ ومن سيرة أصحابه البدور الصدور؛ ومن طرائف أخبار العلم والعلماء، والقُضاة النُّبَلاء، والصُّلحاء الأتقياء؛ ومن نوادر النُّبَهاء الأذكياء، والأجواد الأسخياء.

كتبتُها للبراعم المؤمنة، والفِتْيَةِ الناشئة، الذين توجَّهوا باختيارهم إلى طلب العلم الشرعي[1] وعكَفُوا بقلوبهم على

(١) وكان ذلك سنة ١٣٩٧، وجاء في ثلاثة أقسام، طبعتْ على الآلة الكاتبة.

دراسةِ «قال الله، قال رسوله» فإنه العلم الحقيقي[1].

لذلك تخيَّرتُ هذه النصوص، ملائمةً لهذه الطائفة المختارة، مُوَائمةً لحالهم ومسلكهم ومَنْزِعهم، راجياً منهم الدعاء، ومن الله تعالى الإجابة.

وقد نهجت فيما تخيَّرت:

١ ـ أن يكون جُلُّ ما أذكره متصلاً بالعلم: فضيلتِه وشرفِه، وتعلُّمه ودراستِه، ونشرِه وإشاعتِه، والصبرِ على شدائده ومشاقِّه، وتحبيبه إلى نفوس الناشئة وترغيبهم فيه، وعون الله تعالى لمن وقع في كرب وهو في طلبِه وتحصيله، وذكرِ تشوُّفِ كبراء الأُمة وتطلُّعِ نفوسهم إلى الانتساب إلى شرفه، والاتِّسام بسِمَتِه، **وأن يكونوا من أهله وحَمَلَتِه**...

٢ ـ وجانبٌ آخرُ حَرَصت عليه، هو: ذِكْرُ أخبار الصالحين وحكاياتِهم، وإجابةُ الله تعالى دعواتهم، وإكرامُ الله تعالى لهم ولو كان فيه تغييرُ المألوف المعتاد، ببركة إخلاصهم مع ربهم.

---

(١) العلمُ: قال الله قال رسوله
قال الصحابة، هم أولوا العرفان

فإن «حكايات الصالحين جُنْدٌ من جنود الله» و «عند ذكرهم تنزلُ الرحمة» وتزول عن القلب القسوة، وتتروَّح الرُّوح، وتستريح النفْس، وتَرِقُّ الأفئدة، ولا خيرَ في طالبِ علمٍ ليس له من ذلك حظٌّ وافر، ليُخالِطَ حبُّهم سُوَيداءَ قلبه، فيحشرَ معهم، فإن «المرء مع مَنْ أحبَّ».

٣ ـ والتزمتُ عَزْوَ كلِّ قول إلى قائله، فإن «من بركة العلم أن تُضِيفَ الشيءَ إلى قائله»[١]، وحَرَصْتُ أن يكون المصدرُ موثوقاً عند أهل العلم، بثقة مصنِّفه.

٤ ـ ولم أتصرَّفْ في لفظ صاحبه ـ إلا باختصاره إن كان طويلاً ـ بل التزمتُ نقله بالحرف، إلاّ ما تقتضيه الضرورة من كُلَيْمات يسيرة للدخول على الخبر، وقد أزيدُ أثناءَ النصِّ التصريحَ باسم المخاطِب والمخاطَب ـ مثلاً ـ لتيسير فهمِ القصةِ على القارىء لها لأول مرة، وأضعُه حينئذ بين معترضتين ـ ـ.

٥ ـ ويرى القارىءُ كثرةً في الضبط، وتفسيراً لبعض

---

(١) «جامع بيان العلم» لابن عبدالبر ٢ : ٨٩، وانظر «بستان العارفين» للإمام النووي ص ٢٨ .

الواضحات، وعذري في ذلك مراعاتي لحال من كتبت من أجلهم هذه المختارات.

وإني لأرجو من وراء قراءة هذه (الطاقة)[1] وتكرارِها، تحقيق أمرين اثنين:

أولهما: غَرْسُ معاني هذه النصوص في نفوسِ القراء عامةً، والناشئةِ منهم خاصةً، فإن قلب الطفل «جوهرة نفيسة ساذَجة» كما قال الإمام الغزالي رحمه الله، أي: إنها تقبلُ كلَّ تأثير ومؤثِّر، فما تزرعُه فيها اليوم تَحصُده منها غداً.

ثانيهما: تقويمُ لسانِ القارىء وقَلَمِه، فإنا قد فَقَدنا اليوم من أقلام كتَّابنا الأساليب القويمةَ القوية، وطَغَى عليها أسلوبُ الصِّحافة والإذاعة، ولغةُ أحاديث السَّمَر، والكتابةُ القَصصية المنهارة...

حتى إنك لتقرأ لذوي ألقابٍ علمية عالية، فلا ترى على كتاباتِهم مَسْحةَ الأسلوب العلمي، ولا رَوْنَقَ البيانِ العربي، فَتَخالُ نفسك تقرأ في جريدة أو مَجَلَّة!.

فإذا أَلِفَ الناشىءُ قراءةَ نصوصٍ منها ما هو في ذِرْوة

---

(١) الطاقة: مجموعة من الرياحين والورود، أما الباقة: فمجموعة البقول من المقدونس والنعناع ونحوهما.

البلاغة وجوامع الكلم، ومنها ما هو بأسلوب علمائنا الغابرين: فيه الجزالةُ والوضوحُ، والرَّصانة والإشراق. . .

أقول: إذا أَلِفَ الناشيءُ هذا الأسلوبَ، وكرَّره، وأبداه وأعاده، فإن ذلك يساعد على الخلاص مما نشكوه.

والله سبحانه وتعالى وليُّ التوفيق، ومانحُ العطيَّات، ومُجزِل الهِبَات.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأهلينا وذرياتنا إلى يوم الدين، إنك سميع الدعاء، وصلَّى الله وسلَّمَ على الحبيب الشفيع، والحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة ٥/ ٤/ ١٤٠٦ **وكتبه**

محمد عوامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وآلهم وأصحابهم، وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا هو القسم الأول من كتاب «من فرائد النُّقُول والأخبار» أسأل الله تعالى أن يتفضَّل بإثابةِ جامعه، ونَفْعِ قارئه. إنه سميع مجيب.

محمد عوّامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين وليِّ كلِّ خير ورشاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء والعلماء والعُبَّاد، وعلى آله وصحابته، ومن اقتفى أَثَره، واهتدى بهداه.

وبعد: فأقدِّم القسم الثاني من كتاب «من فرائد النقول والأخبار» سائلاً المولى الكريم أن يمنَّ بقبوله والانتفاع به، إنه على كل شيء قدير.

محمد عوّامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وليِّ كل نعمة وتوفيق، والصلاة والسلام على الهادي إلى أقوم طريق، وعلى الآل البرَرَة، والأصحاب الخِيَرة، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه طاقةُ ريحانٍ ثالثةٌ من كتاب «من فرائد النقول والأخبار» أُقدِّمها تبعاً لسابقتَيْها، راجياً من الكريم الوهاب العون والتوفيق. إنه أكرم مسئول.

محمد عوامة

١

أُولو الألباب
حالهم، دعاؤهم، جزاؤهم
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن في خَلْقِ السَّمَواتِ والأرضِ، واخْتِلافِ الليلِ والنهارِ: لآياتٍ لأُولي الألباب[١]. الذين يَذْكُرون الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنُوبِهم، ويتفكَّرون في خَلْقِ السمواتِ والأرض.

ربَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطلاً، سُبحانَك، فَقِنَا عذابَ النار. ربَّنا إنكَ مَن تُدخِلِ النارَ فقدْ

---

(١) أي: لَعلاماتٍ لأولي العقول السليمة تدلُّهم على الله عزّ وجل. واللُّبُّ: هو العقل الخالص من أيِّ هَوىً أو ميلٍ وانحراف عن مقتضى العقل السليم.

أَخْـزيتَـه، ومـا للظالمين من أنصـار. ربَّنـا إننـا سَمِعنا مُنادياً يُنادي لـلإيمان: أنْ آمنـوا بربِّكُم، فآمَنّا، ربَّنا فاغْفِـرْ لنا ذُنُـوبَنا وكَفِّـر عنّا سيئـاتِنا، وتَـوَفَّنا مـع الأبرار. ربَّنـا وآتِنا مـا وَعَـدْتَنـا على رُسُلِك، ولا تُخْزِنا يـومَ القيامـة، إنك لا تُخْلِفُ المِيعاد.

فـاسْتَجـابَ لهم ربُّهم أَني لا أُضِيـعُ عَمَـلَ عـامـلٍ منكم: من ذَكَـرٍ أو أُنْثى، بعضُكم من بعضٍ، فـالذين هـاجَروا وأُخْـرِجوا مِن دِيـارهم وأُوذوا في سبيلي، وقاتلوا وقُتِلوا: لأُكَفِّرَنَّ عنهم سيئـاتِهم، ولأُدْخِلَنَّهمْ جناتٍ تَجـري من تحتهـا الأنهـارُ، ثَـوابـاً من عنـد الله. والله عنـده حسنُ الثواب﴾[1].

(١) الآيات من سورة آل عمران: الآية ١٨٩ ـ ١٩٥.

من هَدْي القرآن الكريم

٢

عباد الرحمٰن
أوصافهم، جزاؤهم

﴿وعبادُ الرحمنِ: الذين يَمْشُون على الأرضِ هَوْناً، وإذا خاطَبَهم الجاهلون قالوا سلاماً[١]. والذين يَبِيتونَ لربِّهم سُجَّداً وقِياماً[٢]. والذين يقولون: ربَّنا اصرِفْ عنّا عذابَ جهنم،

---

(١) هوناً: متواضعين. والجاهلون: المراد هنا الجهل الأخلاقي، لا الجهل الذي هو ضِدُّ العلم، والجهل الأخلاقي هو السَّفَه. فالجاهلون: هم السفهاء. وسلاماً: أي: قالوا للسفهاء قولاً لطيفاً ليسلموا من سَفَههم وأذاهم. وليس المراد منه السلام المعروف، بمعنى التحية.

(٢) أي: والذين يُمْضُون ليلَهم بالقيام والسجود لله رب العالمين.

إن عـذابَها كـان غَرامـاً[١]. إنها سـاءتْ مُسْتَقَـرّاً ومُقاماً. والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفوا ولم يَقْتُروا، وكان بين ذلك قَـوَاماً[٢]. والـذين لا يَدْعُـون مع الله إلَهـاً آخَرَ، ولا يَقْتُلون النفسَ التي حـرَّم الله إلّا بـالحقِّ، ولا يـزْنـون، ومَنْ يَفْعَـلْ ذلـك يَلْقَ أَثَاماً[٣]. يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيـامةِ ويَخْلُدْ فيهِ مُهاناً. إلّا مَنْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ عملاً صالحاً فأولئك يُبَدِّلُ الله سيئاتِهم حَسَناتٍ، وكان الله غفوراً رحيماً. ومَنْ تابَ وعَمِلَ صالحاً فإنه يتوبُ إلى الله مَتَاباً. والذين لا يَشْهدونَ الزُّورَ، وإذا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً[٤]. والذين إذا ذُكِّروا بـآياتِ ربِّهم لم يَخِـرُّوا

---

(١) دائماً لازماً. (٢) وَسَطاً بين الإسراف والتقتير.

(٣) عقـوبة، وهي المـذكورة بقـوله: يضـاعف له العـذاب. . .، وسبب المضاعفة: كفرهم بالله ومعاصيهم.

(٤) يشهدون: يحضرون. والـزور: الكذب. أي: لا يحضـرون مجـالس الكذب. بـل: إنهم إذا مروا بـالكلام السـاقط اللغو الـذي حقُّه أن يلغى ويتـرك: مـروا بـه وبـأهله كـرامـاً، أي: =

عليها صُمّاً وعُمْياناً[1]. والذين يقولون: ربنا هَبْ لنا من أزواجِنا وذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعيُنٍ[2]، واجْعَلْنا للمتقينَ إماماً. أولئك يُجْزَونَ الغُرْفَةَ[3] بما صبروا، ويُلَقَّوْنَ فيها تَحيةً وسَلاماً. خالدين فيها، حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً ومُقَاماً. قل: ما يَعْبأُ بكم ربي لولا دُعاؤكم[4]، فقد كذَّبْتم فسوف يكون لِزاماً﴾[5].

= مُكَرِّمين أنفسَهم عن حضوره وسماعه.

(١) لم يخروا: لم يسقطوا، أي: لم يسقطوا عند سماعهم كلام الله تعالى على وجوههم شأنهم شأن الكافرين: في آذانهم صمم، وفي أعينهم عمى، لا، بل يفتحون أعينهم، ويُصْغون بآذانهم إلى كلام الله، شأنهم شأن أولي الألباب: الذين يستمعون القولَ فيتَّبعون أحسَنه.

(٢) أي: أبراراً أتقياء صالحين تُسَرُّ العينُ برؤيتهم.

(٣) الدرجة العالية الرفيعة.

(٤) المعنى: لماذا يعذبكم الله لولا أنكم دعوتم معه آلهة غيره.

(٥) ملازماً لكم. والآيات من سورة الفرقان: ٦٣ - ٧٧.

١

فضل من عَلِمَ وعَلَّم

عن أبي موسى الأَشْعريِّ رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال:

«مَثَلُ[١] ما بَعَثني الله به من الهُدَى والعِلمِ كمَثَلِ الغَيثِ الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نَقِيَّةٌ[٢] قَبِلَتِ الماءَ فأَنْبَتتِ الكَلأَ والعُشْبَ[٣] الكثير، وكانتْ منها أجادِبُ[٤] أمسكتِ الماءَ فنفع الله

---

(١) أي: صفةُ، وليس المراد به القولَ السائرَ في الناس.

(٢) أي: أرض طيبة.

(٣) الكلأ: النَّبْت الرَّطْب واليابس، والعشب: النبت الرطب فقط.

(٤) أجادب: جمع جَدَب ـ بفتح الدال ـ وهي الأرض الصُّلْبة.

بهـا الناسَ، فشَـرِبوا وسَقَـوْا وَزَرَعُـوا، وأَصـابَ منها طائفةً أخرى، إنما هي قِيعانٌ[1] لا تُمسِـكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً.

فـذلـك مَثَـلُ من فَقُـه في دينِ الله ونفعَـه مـا بعثني الله بـه فعَلِم وعَلَّم، ومَثَـلُ من لم يـرفـعْ بـذلـك رأسـاً[2]، ولم يَقْبـلْ هُـدَى الله الـذي أُرْسِلتُ به»[3].

---

(١) جمع قاع، وهي الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت.

(٢) أي: أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع غيره.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب العلم، باب فضل من عَلِم وعلّم ١ : ١٨٥ ـ ١٨٦ من «فتح الباري».

٢

أَثَرُ الجليسِ

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال:

«مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والسَّوْءِ: كحاملِ المِسكِ ونافخِ الكِيْرِ.

فحاملُ المسكِ: إما أنْ يُحْذِيَك[1]، وإما أن تَبْتاعَ منه، وإما أن تَجِدَ منه رِيحاً طيِّبة.

ونافخُ الكِيرِ: إما أن يُحْرِق ثيابَك، وإما أن تجدَ رِيحاً خبيثة»[2].

---

(١) أي: يُعطيَك.

(٢) رواه البخاري في موضعين من «صحيحه» في كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك ٥: ٢٢٧، وفي كتاب الذبائح =

. . . .

= والصيد باب المسك ٨٢/١٢ وهذا لفظه.

قال العلامة الحكيم الراغب الأصفهاني في «الذَّريعة إلى مكارم الشريعة» ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦: «حقُّ الإنسان أن يتحرَّى بغاية جُهده مصاحبةَ الأخيار، فهي قد تجعل الشِّرِّير خَيِّراً، كما أن مصاحبةَ الأشرار قد تجعل الخيِّر شِرِّيراً. قال بعض الحكماء: مَن جالس خيِّراً أصابتْه بركتُه فجليسُ أولياء الله لا يَشْقَى وإن كان كلباً ككلب أصحاب الكهف، حيث قال جلَّ وعزَّ: «وكلبُهم باسطٌ ذراعَيْه بالوَصيد».

ولهذا أوصت الحكماء بمَنْع الأحداثِ من مجالسةِ السُّفهاء، وقال أميرُ المؤمنين ـ عليٌّ ـ رضي الله تعالى عنه: لا تَصحبِ الفاجرَ فيزيِّنَ لكَ فعلَه، ويَوَدُّ أنك مثلُه. وقيل: جالِسوا مَنْ تُذَكِّرُكُمُ الله رؤيتُه، ويزيد في خيركم نُطْقُه.

وقالوا: إياك ومجالسةَ الشِّرِّير، فإن طبعَكَ يَسرِقُ مِن طبعه وأنت لا تدري....

وليس إعْداءُ الجليسِ جليسَه بمَقاله وفِعَاله فقط، بل بالنظر إليه، فالنظر في الصورِ يؤثر في النفوس أخلاقاً مناسبة إلى خُلُق المنظور إليه، فإن مَن دام نظره إلى مسرور سُرَّ، ومن دام نَظَره إلى مَحْزون حَزِن، وذلك ليس في الإنسان فقط، بل في الحيوان وسائر النبات، فإن الجملَ الصَّعْبَ قد يَصير =

. . . .

= ذَلولاً بمقارنة الذَّلول، والذلول يصير صَعْباً بمقارنـة الصعاب، والرَّيْحانةُ الغَضَّة تذبُلُ بمقارنة الذابلة . . .

ومعلوم أن المـاء والهـواء يفسُـدان بمجـاورة الجيفـة إذا قَرُبَتْ منهما.

وذلك مما لا ينكره ذو تجربة.

وإذا كانت هذا الأشياء قد بلغت في قبـول التأثيـر هذا المبلغ، فما الظنُّ بالنفوس البشرية التي موضوعُها لقبول صـور الأشياء خيرِها وشرِّها؟!».

٣

الرِّحلةُ في طلب العلم

عن أُبَيٍّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنـه، عن النبيّ ﷺ قال:

«قـام مـوسى النبيُّ ﷺ خـطيبـاً في بـني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقـال: أنا أعلمُ. فعَتَبَ الله عليه إذْ لم يَرُدَّ العلـمَ إليه[١]، فـأَوحَى الله إليـه أنَّ عبـداً من عبـادي بمَجْمَـع البَحْرين[٢] هو أعلمُ منك.

قال: يا ربِّ وكيف لي به؟.

---

(١) أي: لم يقل موسى عليه السلام للسائل: الله أعلم.

(٢) البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر.

فقيل له: اِحمِلْ حُوتاً في مِكْتَلٍ[1]، فإذا فَقَدْتَه فهو ثَمَّ[2].

فانطلقَ، وانطلقَ بفتاهُ يُوشعَ بنِ نُونٍ، وحَمَلا حوتاً في مِكتَل، حتى كانا عند الصخرة وَضَعَا رؤوسهما وناما. فانسلَّ الحوتُ من المِكْتَل فاتَّخَذَ سبيلَه في البحر سَرَباً[3]، وكان لموسى وفتاه عَجَباً، فانطلقا بقيةَ ليلتِهما ويومَهُما.

فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتِنا غَداءَنا[4]، لقد لَقِيْنا من سَفَرِنا هذا نَصَباً[5] ولم يَجِدْ موسى مَسّاً من النَّصَبِ حتى جاوز المكانَ الذي أُمِرَ به.

فقال له فتاه: أرأيتَ إذْ أَوَيْنا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوتَ؟!.

---

(١) هو الزِّنْبيل.

(٢) فهو ثَمَّ: أي: فهو هناك.

(٣) أي: طريقاً ومسلكاً مستوراً.

(٤) الغَداء: طعام الفطور.

(٥) تَعَباً.

قال موسى: ذلك ما كنا نَبْغِ[1]، فارتدّا على آثارهما قَصَصاً[2].

فلما أَتَيا إلى الصخرة إذا رجلٌ مسجًّى بثوب[3]، فسلَّم موسى، فقال الخَضِر: وأَنَّى بأرضِكَ السلامُ؟[4].

فقال: أنا موسى.

فقال ـ الخَضِر ـ: موسى بني إسرائيل؟.

قال موسى: نعم. هل أَتَّبِعُكَ على أنْ تعلِّمَني مما عُلِّمتَ رُشْداً؟[5].

---

(١) أي: نريد ونطلب.
(٢) أي: رجعا يَقُصّان ويَتْبعان الطريقَ والأثر الذي جاءا منه.
(٣) أي: مغطًّى بثوب.
(٤) أي: كيف بأرضك السلام؟ ويؤيده الرواية الثانية: هل بأرضي من سلام؟.
(٥) أي: عِلماً أكون به من الراشدين المهديين. وفي هذا القول من موسى اثنا عَشَرَ وجهاً من وجوه أدب المتعلم مع العالم، انظرها في تفسير الإمام الفخر الرازي.

قال الخَضِر: إنك لنْ تَستطيعَ معيَ صبراً. يا موسى إني على علمٍ من علم الله عَلَّمَنِيهِ، لا تَعْلَمُه أنتَ،وأنتَ على علم عَلَّمَكَهُ الله لا أعلمه.

قال موسى: سَتَجدُني إن شاء الله صابراً ولا أَعصي لك أمراً.

فانطلقا يمشيانِ على ساحلِ البحرِ، ليس لهما سفينةٌ، فمرتْ بهما سفينةٌ، فكلَّموهم أن يَحْمِلوهما، فعُرِفَ الخَضِرُ، فحَمَلوهما بغير نَوْلٍ[1]، فجاء عُصفورٌ فوقع على حَرْفِ السفينة[2]، فنقر نَقْرةً أو نقرتَيْنِ في البحر.

فقال الخَضِر: يا موسى ما نَقَصَ علمي وعلمُكَ من علم الله إلّا كنَقْرة هذا العُصْفور في البحر[3].

---

(١) بغير أُجْرة وجُعْل.

(٢) حَرْف السفينة: طَرَفها.

(٣) يريد تقليل ما عند البشر من علم، وإلا فلا نقص.

فعَمَـد الخضِرُ إلى لَـوحٍ من ألـواحِ السفينـةِ فَنَزَعه.

فقال موسى: قومٌ حَمَلونا بغيرِ نَوْلٍ عَمَـدتَ إلى سفينتِهم فخرقتَها لِتُغْرِقَ أهلَها؟!.

قال الخَضِر: ألم أقلْ: إنك لنْ تَستطيعَ معيَ صبراً؟!.

قال ـ موسى ـ: لا تُؤَاخِذْني بما نسيتُ.

فكانتِ الأُولى من موسى نسياناً.

فانطلقا، فإذا غلامٌ يلعبُ مع الغِلْمان. فأخذَ الخَضِر برأسه من أعلاه فاقْتَلَعَ رأسَه بيده.

فقـال مـوسى: أقتلتَ نَفْسـاً زَكِيَّـةً[1] بغيـر نَفْسٍ؟!.[2]

---

(١) أي: لم تُذنب.

(٢) أي: لم يَقتـلْ هذا الغـلامُ نفسـاً ليستحقَّ القتـلَ بمـا فعـل، فكيف قتلتَه؟.

قال الخَضِر: ألم أقل لك: إنك لن تستطيع معيَ صبراً؟!.

فانطلقا، حتى إذا أتَيا أهلَ قريةٍ استَطْعَما أهلَها، فأبَوْا أن يُضَيِّفوهما، فوجَدَا فيها جِداراً يريد أن ينقضَّ[1]، قال الخضر بيده فأقامه[2].

قال موسى: لو شئتَ لاتَّخَذْتَ عليه أجراً!.

قال الخضر: هذا فراقُ بيني وبينِك.

قال النبيّ ﷺ: يَرحمُ الله موسى لَوَدِدْنا لو صبر حتى يَقُصَّ علينا من أمرهما»[3].

---

(١) أن يسقط.

(٢) هذا من إطلاق القول على الفعل. أي: فَعَل الخضر وأشار إليه بيده فصلُح واستقام.

(٣) رواه البخاري في مواضعَ من «صحيحه» ثانيها: في كتاب العلم باب ما يُستحب للعالم إذا سئل: أيُّ الناس أعلم؟ فَيَكِلَ العلمَ إلى الله. ١ : ٢٢٨ ـ ٢٣٣ من «فتح الباري».

من هَدْي النبي ﷺ

٤

أَثر العلمِ والجهل

عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«كانَ فيمنْ كانَ قبلَكُم[١] رجلٌ قَتَلَ تسعةً وتسعينَ نَفْساً. فسأل عن أعلمِ أهلِ الأرضِ، فدُلَّ على راهبٍ[٢]، فأتاه فقَال: إنه[٣] قَتَلَ تسعةً وتسعين نَفْساً، فهل له من توبةٍ؟.

---

(١) أي: في بني إسرائيل.

(٢) أي: رجلٍ عابد غيرِ عالم.

(٣) الأصل أن يقال: «إني قتلتُ» بضمير المتكلم، لكن استعملَ النبيُّ ﷺ ضميرَ الغائب تنزّهاً وابتعاداً عن التلفظ بضمير المتكلم في حال نسبة شيءٍ إلى المتكلم غيرِ مستحسن.
أي: ابتعاداً عن أن يقول ﷺ: إني قتلتُ تسعة وتسعين نفساً، =

فقال: لا، فَقَتَلَه، فكمَّل به مائةً.

ثم سأل عن أعلمِ أهلِ الأرض، فَـدُلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال القاتلُ: إنه قتلَ مائةَ نفسٍ، فهل له من توبة؟.

فقال ـ العالم ـ: نعم. ومن يَحُـولُ بينه وبين التوبةِ؟!.

اِنْطلِقْ إلى أرضِ كذا وكذا، فإن بهـا أُناسـاً يَعبُـدون الله، فاعبُـدِ الله معهم، ولا تَرْجِـعْ إلى أرضِك، فإنها أرضُ سَوْء.

فـانـطلقَ، حتى إذا نَصَفَ الـطريقَ[1] أتـاه الموتُ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكـةُ العذابِ.

= قال: إنه قتل... وهذا من آداب الكلام في حكايةِ ما لا يليق من أفعال الآخرين.

(١) أي: صار في منتصف الطريق ووسطها.

فقالتْ ملائكةُ الرحمة: جاء تائباً مُقْبِلاً بقلبه إلى الله.

وقالت ملائكـة العذاب: إنـه لم يَعملْ خيـراً قطُّ.

فـأتـاهم مَلَكٌ في صـورةِ آدميٍّ، فجعـلوه بينهم، فقـال: قِيْسُوا مـا بين الأرضَيْنِ، فـإلى أيَّتِهما كان أدنى[1] فهو له. فقاسُوه فوجدوه أدنى إلـى الأرض التـي أراد، فقـبضتْـه مـلائكـةُ الرحمة».

وفي روايـة ثـانيـة: «فلمـا كـان في بعض الطريق أدركه الموت فَنَاءَ[2] بصـدره، ثم مات. فاختصمتْ فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فكـان إلى القريـةِ الصالحـةِ أقربَ منهـا بِشبـرٍ،

---

(١) أدنى: أقرب.

(٢) ناءَ بصدره: أقبلَ بصدره.

فجُعِل من أهلها»[1].

---

(١) رواه البخاري في أواخر كتاب أحاديث الأنبياء تحت عنوان «باب» ٧ : ٣٢٤، ورواه مسلم في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كَثُر قتله ١٧ : ٨٣ بشرح النووي، ولفظ الروايتين له. ويستفاد من الحديث ـ كما في «الفتح» ـ: «فضل التحوُّل من الأرض التي يُصيب الإنسان فيها المعصية، . وفيه: إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقةُ الأحوالِ التي اعتادها في زمن المعصية، . وفيه: فضل العالم على العابد، لأن الذي أفتاه أولاً غلبت عليه العبادة، فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل، وأما الثاني فغلب عليه العلم، فأفتاه بالصواب ودلَّه على طريق النجاة».

أخبار القوم

قال الإمام أبو حنيفة: الحكاياتُ عن العلماء أحبُّ إليَّ من كثيـر من الـفقـه، لأنـهـا آداب القوم[1].

وقال الشيخ سيدنا أبو القاسم الجُنَيد رضي الله عنه ونفعنا ببركاته: الحكاياتُ جندٌ من جنود الله، يقوِّي الله بها أبدان المريدين.

وقال الإمامُ المَوَّاقُ في كتابه «سَنَن المهتدين» عن شيخه المَنْتُوْرِيِّ، بسنده إلى أبي العباس بن العَرِيف، قال:

---

(١) لأن التخلُّق بالآداب والتحلِّيَ بها أهمَّ بكثير من فَرْضيّات الفقه ونوادره.

كنتُ في مجلس أستاذي أبي علي الصَّدَفي أقرأُ عليه الحديثَ، فقرأ يوماً الحديثَ، ثم أغلقَ الكتابَ، وجَعَل يحكي حكاياتِ الصالحين، فوقع في نفسي: كيف يُجيزُ الشيخُ أن يقطعَ حديثَ رسول الله ﷺ ويحكي الحكايات؟! قال: فما تمَّ ليَ الخاطرُ حتى نظر إليَّ الشيخُ شَزْراً[1]، وقال:

ـ يا أحمدُ، الحكاياتُ جندٌ من جنود الله، يُثَبِّتُ الله بها قلوبَ العارفين من عباده.

قال ـ أبو العباس ـ: فما بقي في جَسَدي شَعَرةٌ إلا قَطَر منها العَرَقُ. فلما رآني دَهِشْتُ قال لي:

ـ يا أحمدُ، أين مِصْداقُ ذلك من كتاب الله؟.

---

(١) بطَرَف عينه مُغْضَباً.

قلت: الشيخُ أعلمُ.

قال: قوله تعالى: ﴿وكُلًّا نَقُصُّ عليكَ مِن أنباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ به فؤادَكَ﴾[1].

وفي هؤلاء قال القائل:

جَمَالَ ذي الأَرْضِ كانوا في الحياة وهُمْ

بعدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ[2]

(١) من سورة هود: ١٢٠، والنصُّ من «أزهار الرياض في أخبار عياض» للشهاب المَقَّري ١ : ٢٢. وأسند كلمة الجنيد الخطيبُ في «تاريخه» ٣ : ٧٥ إلى أبي بكر الكتاني تلميذ الجنيد.

(٢) «فهرس الفهارس» ١ : ٥١ لمحدث المغرب السيد عبدالحيّ الكتاني رحمه الله تعالى.

من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم

١

أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت:

لما اجتمع أصحابُ النبيِّ ﷺ - وكانوا ثمانيةً وثلاثينَ رجلاً - ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظُّهُور، فقال: «يا أبا بكر إنّا قليلٌ» فلم يَزَلْ أبو بكر يُلحُّ حتى ظَهَر رسولُ الله ﷺ وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد، كلُّ رجلٍ في عشيرته.

وقام أبو بكر خطيباً، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ، فكان أولَ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وَثَار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُرِبوا في نواحي المسجد ضَرْباً شديداً،

ووُطِيء أبو بكر وضُرِب ضَرْباً شديداً، ودنا منه الفاسقُ عُتْبةُ بنُ ربيعةَ فجعل يضربه بنعلينِ مَخْصُوفَتَيْنِ ويُحَرِّفُهما لوجهه[1]، ونَزَا[2] على بطن أبي بكر، حتى ما يُعْرَفُ وجهُهُ من أنفه.

وجاء بنو تَيْمٍ يَتَعادَوْنَ[3]، فأَجْلَتْ المشركين عن أبي بكر، وحَمَلتْ بنو تَيْمٍ أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزلَه ولا يَشُكُّونَ في موته. ثم رجعتْ بنو تيم فدخلوا المسجدَ وقالوا: والله لئنْ مات أبو بكر لَنقتلنَّ عتبةَ بنَ ربيعةَ.

فرجعوا إلى أبي بكر، فجَعَل أبو قُحافةَ[4] وبنو تيم يكلِّمون أبا بكرٍ حتى أجاب.

---

(١) خَصَف النعلَ: جَعَل لها نعلاً أُخرى، فتصبح حينئذ ثقيلة مُؤْلمة. وتحريفها للوجه: توجيهُ ضَرَباتِها نحوَ الوجه.

(٢) وثب.

(٣) يتسارعون. وبنو تَيْم: هم قبيلة أبي بكر الصديق.

(٤) هو والد أبي بكر رضي الله عنهما.

فتكلم آخرَ النهار فقال: ما فَعَل رسولُ الله ﷺ؟.

فَمَسُّوا منه بألسنتهم[1] وعَذَلوه، ثم قاموا وقالوا لأمِّه أمِّ الخير: اُنْظُري[2] أنْ تُطْعِميه شيئاً أو تَسقيه إياه!.

فلما خَلَتْ به ألَحَّتْ عليه وجعل يقول: ما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟.

فقالت: والله لا عِلْمَ لي بصاحبك.

فقال: اذهبي إلى أم جميلٍ بنتِ الخطاب[3]، فاسأليها عنه.

فخرجَتْ حتى جاءتْ أمَّ جميل.

---

(١) أساؤوا إليه بالكلام. وعَذلوه: لاموه.

(٢) انظري: احذري وانتبِهي.

(٣) الظاهر أن أم جميل هي فاطمة، أخت عمر، وزوجة سعيد بن زيد رضي الله عنهم. وقيل: أم جميل اسمها رملة، فهي غير فاطمة. والله أعلم.

فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمدِ بنِ عبدِالله؟.

فقالت: ما أعرفُ أبا بكرٍ ولا محمدَ بنَ عبدِالله، وإن كنتِ تُحبينَ أنْ أذهبَ معكِ إلى ابنكِ؟.

قالت: نعم.

فمضتْ معها حتى وَجَدتْ أبا بكر صَرِيعاً دَنِفاً[1]، فدنتْ أمُّ جميل وأعلنتْ بالصياح وقالت:

والله إن قوماً نالوا هذا منكَ لأهلُ فسقٍ وكفرٍ، وإني لأرجو أن ينتقمَ الله لكَ منهم.

قال: فما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟.

قالت: هذه أمُّكَ تسمع!.

---

(١) الدَّنِف: من لازمه المرض، والمعنى: أنها رأته في حالةِ تعبٍ ومرض شديد كالذي لزمه المرض منذ زمن بعيد.

قال: فلا عينَ[1] عليكِ منها.

قالت: سالمٌ صالحٌ.

قال: أين هو؟.

قالت: في دارِ الأرقم.

قال: فإن لله عليَّ أن لا أذوقَ طعاماً ولا أشربَ شراباً أو[2] آتِيَ رسولَ الله ﷺ.

فأَمْهَلَتاه، حتى إذا هدأتِ الرِّجْلُ وسكنَ الناسُ خرجتا به يتكىءُ عليهما، حتى أدخَلَتاه على رسول الله ﷺ فأكبَّ عليه رسولُ الله ﷺ فقبَّله، وأكب عليه المسلمون، ورقَّ له رسولُ الله ﷺ رِقةً شديدة.

---

(١) العين هنا: الجاسوس. أي: لا تخافي منها فهي مأمونة الجانب.

(٢) «أو» هذه بمعنى: إلاَّ، والفعل المضارع بعدها منصوب بـ«أنْ» المضمرة وجوباً.

فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسولَ الله ليس بي بأسٌ إلاّ ما نال الفاسقُ من وجهي، وهذه أمي بَرَّةٌ بولدها وأنتَ مباركٌ فادْعُها إلى الله وادعُ الله لها، عسى أن يَستنقذَها بكَ من النار، فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمتْ[1].

---

(١) اسمها: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، وهي بنت عمِّ أبي قحافة. والخبر من «البداية والنهاية» لابن كثير رحمه الله ٣: ٣٠.

٢

عمر بن الخطاب رضي الله عنه
رأفته بالأطفال من رعيته

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

قَدِمتْ رُفقةٌ من التجّار، فنزلوا المُصَلَّى[١]، فقال عمر لعبدالرحمن بن عوف: هل لك أن نَحْرُسَهم الليلةَ من السَّرَق[٢]؟.

فباتا يَحْرُسانِهم، ويصلِّيان ما كَتَب الله لهما، فسمع عمرُ بكاءَ صبيٍّ، فتوجَّه نحوَه فقال لأمه: اِتَّقي الله وأَحْسِني إلى صبيِّكِ. ثم عاد إلى

---

(١) هو مكان اجتماع الناس لصلاة العيد، ومصلَّى العيد في المدينة آنذاك هو موضع مسجد الغمامة اليوم.

(٢) أي: السرقة.

مكانه. فسمع بكاءَه فعاد إلى أمه فقال: اِتَّقي الله وأَحْسِني إلى صبيِّك. ثم عاد إلى مكانه. فلما كان من آخر الليل سمع بكاءَه فأتى أمَّه فقال: وَيْحَكِ إني لَأراكِ أمَّ سَوْء، ما لي أرى ابنَك لا يَقِرُّ منذ الليلة؟.

قالت: يا عبدَالله قد أَبْرمتَني[1] منذ الليلةِ، إني أُرِيغه[2] عن الفِطام فيأْبَى.

قال: وَلِمَ؟.

قالت: لأن عمر لا يَفرِض إلاّ للفُطُم.

قال: وكم له؟.

قالت: كذا وكذا شهراً.

قال: ويحكِ لا تُعْجِليه.

فصلى الفجرَ وما يَسْتبينُ الناسُ قراءتَه من

---

(١) أضجرْتَني.

(٢) أحملُه على الفِطام وأُريده منه.

غَلَبةِ البكاءِ. فلما سَلَّم قال: يا بُؤْساً لعمر! كم قَتَلَ من أولاد المسلمين!.

ثم أمر منادياً فنادى: أن لا تُعْجِلوا صِبيانَكم عن الفِطام، فإنا نَفِرض لكل مولودٍ في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق: إنا نفرِض لكل مولود وُلد في الإسلام[1].

---

(١) من «طبقات ابن سعد» ٣: ٢١٧.

١

الإمام أبو حنيفةَ رضي الله عنه
سببُ اجتهادِه في العلم

عن عبدالعزيز بن خالد قال:

سمعتُ الإمامَ أبا حنيفةَ رضي الله عنه يقول:

كنتُ في أول الأمر لا أدخلُ في هـذا العلمِ هـذا الدخـول[1]، حتى رأيتُ في المنـام كـأني أَنْبُشُ قبـرَ النبيِّ ﷺ وأَستخـرجُ عِـظامَـه وأُؤَلِّفُ بعضَهـا على بعض، فانتبهتُ من النـوم وبي من الغَمِّ والبكـاءِ مـا الله بـه عليمٌ، وقلتُ: أنبشُ

(١) يريد: لم أكن أتعمَّق في العلم هذا التعمُّق.

القبورَ وقد جاء فيه ما جاء[1]؟! ثم من بين القبور قبرَ النبيِّ ﷺ؟!.

فأمسكتُ عن الجلوس ولزمتُ البيتَ، وتبيَّن ذلك فيَّ حتى عادني إخواني، فقال بعضهم لي: قد نرى عروقَك سالمةً، ولا نرى فيك أَثَر المرضِ، فكيف هذا؟ فأخبرتُه برؤيايَ. فقال: يكون خيراً إن شاء الله.

فقال: ها هنا صاحبٌ لابن سِيرِينَ عالمٌ بالرؤيا، ندعوه لك؟.

فقلت: لا، أنا آتيه. فأتيتُه.

فقال: هذه الرؤيا لكَ؟.

فقلت: أنا رأيتُها.

فقال: إنْ كان ما تقولُ حقاً لَتَعْمَلَنَّ في إقامة

---

(١) يريد: أنه ورد عن النبي ﷺ التحذيرُ من هذا الفعلِ. واستنكر من نفسه هذا أنه لم يفعله إلّا في قبر النبي ﷺ!.

السُّنة عملاً لم يَسبقْك به أحدٌ، ولَتَدْخُلَنَّ في العلم مَدْخَلاً بعيداً.

فلما سمعتُ ذلك منه اجتهدتُ في هذا العلم هذا الاجتهادَ. اللهم اجعلْ عاقبتَه إلى خير[1].

(١) الخبر من «عقود الجُمانِ في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفةَ النعمان» لشمس الدين الصالحي ص: ١٧١.

الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه
أولُ اتصالِه بالإمامِ مالكٍ

عن الرَّبيعِ بنِ سُليمانَ قال:

سمعتُ الشافعيَّ يقول: خرجتُ من مكةَ فلزمتُ هُذَيْلاً في البادية، أتعلَّمُ كلامها وآخُذ بِلُغَتِها، وكانت أفصحَ العربِ، فأقمتُ معهم مدةً ارحَلُ برحيلهم وأنزلُ بنزولهم، فلما أنْ رجعتُ إلى مكة جَعلتُ أُنْشِدُ الأشعارَ وأَذكرُ أيامَ الناسِ، فمرَّ بي رجلٌ من الزُّهْرِيِّينَ[1] فقال لي:

ـ يا أبا عبدِالله عزَّ عليَّ أن لا تكونَ في العلمِ والفقهِ هذه الفصاحةُ والبلاغةُ!.

(١) أي: رجل من بني زُهْرة، إحدى قبائل العرب.

قلت: مَن بَقي ممن يُقصدُ؟.

فقال: مالكُ بنُ أنسٍ سيدُ المسلمين.

قال: فوقع ذلك في قلبي، وعَمَدت إلى «المُوَطَّأ»[1] فاسْتَعَرْتُه من رجل بمكةَ وحفِظتُه.

ثم دخلتُ على والي مكة فأخذتُ كتابَه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس، فقدِمتُ المدينةَ، فبلَّغت الكتابَ، فلما قرأ والي المدينةِ الكتابَ قال:

يا بنيَّ إنَّ مَشْيِي من جَوْف المدينة إلى جوف مكةَ حافياً راجِلاً[2] أهونُ عليَّ من المشي إلى باب مالك، فإني لستُ أرى الذُّلَّ حتى أقِفَ على بابه!.

فقلتُ: إنْ رأى الأميرُ أنْ يُوجِّه إليه ليحضُر!.

---

(١) اسم كتاب للإمام مالك جمع فيه بعض الأحاديث الثابتة.

(٢) ماشياً على قدميه غيرَ راكب.

فقـال: هيهـاتَ! ليتَ أني إنْ ركبتُ أنـا ومن معي وأصابنا ترابُ العَقِيق[1] يقضي حاجتَنا. . .

فواعدتُه العصرَ، وقَصَدْنا، فتقدَّم رجلٌ وقَـرَع البـابَ، فخرجتْ إلينـا جاريـةٌ سوداءُ فقـال لهـا الأميـر: قولي لمـولاكِ: إنني بالبـاب. فـدخلتْ فأبطأتْ ثم خرجتْ فقالت:

ـ إن مولايَ يقول: إنْ كانتْ مسألـةٌ فارْفَعْهـا إليَّ في رُقعـةٍ حتى يَخرجَ إليـك الجـوابُ، وإنْ كـان للحـديث فقـد عـرفتَ يـوم المجلس. فانْصرِفْ.

فقال لها ـ الأمير ـ: إنَّ معيَ كتابَ والي مكة في مهمٍّ.

فـدخلتْ ثم خـرجتْ وفي يـدهـا كـرسيٌّ،

---

(١) اسم وادٍ بطرف المدينـة المنورة. يـريد الـوالي: ليت مالكـاً يقضي حاجتنا ولو تكلفنا الذهاب إلى ذلك المكان البعيد.

فوضعتْه، فإذا بمالكٍ رجلٍ شيخٍ طُوَال، قد خرج وعليه المَهابةُ، وهو مُتَطَيْلِسٌ[1] فَدَفَعَ إليه الكتابَ فبلغ إلى قوله: إن هذا ـ أي الشافعيَ ـ رجلٌ شريفٌ، من أمره وحاله، فتحدِّثُه وتفعلُ وتصنعُ.

فرمى ـ مالك ـ بالكتاب من يده وقال: يا سبحانَ الله قد صار علمُ رسولِ الله ﷺ يُؤْخذُ بالوسائل!.

قال: فرأيتُ الواليَ وهو يهابُه أن يكلِّمَه، فتقدمتُ إليه.

فقلت: أصلحك الله إني رجلٌ مُطَّلِبيٌّ، من حالي وقِصتي.

(١) لابسُ الطَّيْلَسان، وهو هذا المِنديلُ المتداوَلُ وَضْعُه على الرأس حتى أيامنا.

فلما أنْ سَمِع كلامي نظر إليّ ساعةٍ ـ وكانتْ لمالك فِراسةٌ ـ فقال لي:

ـ ما اسْمُك؟.

فقلت: محمد.

فقال: يا محمـد اتقِ الله واجتنبِ المعاصي، فإنه سيكونُ لك شأنٌ من الشأن.

فقلت: نعم، وكرامةً.

فقال: إذا كان غداً تجيءُ، ويجيءُ معك مَنْ يقرأُ لك «المُوَطَّأ».

فقلت: إني أقرأُ ظاهراً.

قـال: فغدوتُ إليـه وابتدأتُ، فكلمـا تَهَيَّبْتُ مـالكاً وأردتُ أن أَقـطع، أعجبـه حُسنُ قـراءتي وإعرابي[1] يقول:

---

(١) الإعراب هنا: البيان، أي: يقرأ قـراءة فصيحةً بيِّنـة الحروف والكلمات.

ـ يا فتى زِدْ.

حتى قـرأتُه عليـه في أيامٍ يسيـرة. ثم أقمتُ بالمدينـة إلى أن تُوفي مـالك بن أنس رضي الله عنـه[1].

(١) الخبر من «مناقب الشافعي» للبيهقي ١ : ١٠٢ ـ ١٠٣.

٣

أَثَر صحبةِ العلماء

قال عبدالله بن أبي موسى التُّسْتَري:

قيل لي: حيثما كنتَ فكنْ قُرْبَ فقيه.

قال: فأتيتُ بَيروتَ إلى الأوزاعي، فبينا أنا عنده إذْ سألني عن أمري؟ فأخبرته ـ قال: وكان [مجوسياً ثم] أسلم ـ.

فقال لي: أَلكَ أبٌ؟.

قلت: نعم، تركتُه بالعراق، مجوسيٌّ.

قال: فهل لك أن تَرْجِع لعل الله يهديه [على] يديك؟.

قلت: تَرَى لي ذاك؟.

قال: نعم.

فأتيتُ أبي فوجدتُه مريضاً.

فقال لي: يا بنيَّ أيُّ شيءٍ أنتَ عليه؟.

فأخبرته أني أسلمت.

فقال لي: فاعْرِضْ عليَّ دينك.

فأخبرته بالإسلام وأهله.

قال: فإني أُشْهِدك أني قد أسلمت.

قال: فمات في مرضه ذلك، فدفنتُه، ورجعتُ إلى الأوزاعي فأخبرته(١).

---

(١) القصة في «التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة، الورقة ١٧/ آ من الجزء الخمسين، من مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، وما بين المعكوفين زيادة مني.

مَنْ أعزُّ الناس

في سيرة الإمام أبي زكريا يحيى بنِ زيادٍ الفَرّاءِ[1]:

كان المأمونُ - الخليفةُ العباسيُّ - قد وكَّل الفَرَّاءَ يُلَقِّن[2] ابْنَيْه النَّحْوَ، فلما كان يوماً أراد الفَراءُ أن ينهضَ إلى بعضِ حَوائجه، فابْتَدَرا[3] إلى نعلِ الفراء يقدِّمانه له، فتنازعا أيُّهما يقدِّمُه، ثم اصْطَلَحا على أن يقدِّمَ كلُّ واحدٍ منهما فَرْداً، فقدَّماها.

---

(١) كان من أئمة اللغة العربية، ورواة الحديث الثقات، وكانت وفاته سنة سبع ومائتين.

(٢) يلقِّن: يعلِّم.

(٣) ابتدرا: أسرعا.

وكان المأمونُ له على كلِّ شيءٍ صاحبٌ[1]، فَرَفَع ذلك إليه في الخبر، فوجَّه[2] إلى الفراء فاستدعاه، فلما دَخَل عليه قال له:

من أعزُّ الناس؟.

قال: ما أعرِف أعزَّ مِن أميرِ المؤمنين.

قال: بلى! مَن إذا نَهَضَ تَقَاتَل على تقديم نَعْلَيْه وليَّا عَهْدِ المسلمين، حتى رضي كلٌّ واحد أن يقدِّم له فَرْداً!.

قال: يا أمير المؤمنين لقد أردتُ منعَهما عن ذلك، ولكنْ خشيتُ أنْ أدفَعَهما عن مَكْرُمة[3] سَبَقا إليها، أو أكْسِر نفوسَهما عن شريفة[4]

---

(١) صاحبٌ: أي: موظفٌ ومراقبٌ.

(٢) وجَّه إليه: أرسل إليه.

(٣) المكرمة: الفعل الحسن المحمود.

(٤) الشريفة: يريد: خَصْلة ترفع من قَدْر فاعلها.

حَـرَصا عليهـا، وقد يُـروى عن ابن عبـاس أنـه أَمْسَك للحسن والحسين رِكابَيْهما[1] حين خرجـا من عنـده، فقال لـه بعضُ مَن حَضَـر: أَتُمْسِـكُ لهذين الحَدَثَيْن[2] ركابَيْهما وأنت أَسَنُّ منهمـا؟! قـال له: اُسْكُتْ يـا جاهـلُ، لا يعـرفُ الفضـلَ لأهلِ الفضِل إلا ذَوُوْ الفضل.

قـال لـه المـأمـون: لـو مَنَعْتَهمـا عن ذلـك لَأوْجَعْتُـك[3] لَوْمـاً وعَتْبـاً، وأَلـزمْتُك ذَنْبـاً، ومـا وَضَـع مـا فَعَـلاه مِن شَـرَفهمـا، بـل رَفَـع مِن قَـدْرِهما، وبيَّن عن جـوهرهمـا، وقـد ثَبَتَتْ لي

---

(١) الركاب: المكان الذي يضع الفارس فيه قدميه حين يركب فرسه.

(٢) الحَدَثُ: الشابُّ.

(٣) هكـذا في المصدر المنقـول عنـه، ولعـل الصـواب: لأوسعتك.

مَخِيْلَةَ الفِراسة[1] بفعلهما، فليس يَكْبُر الرجل - وإنْ كـان كبيـراً - عن ثـلاث: عن تـواضُعـه لسلطانِه، ووالدِه، ومعلِّمِه العلمَ؛ وقد عوَّضتُهما عما فَعَلاه عشرين ألفَ دينارٍ، ولك عَشَرُة آلافِ درهمٍ، على حُسْن أدبك لهما[2].

---

(١) المَخِيلة: الظنّ. والفِراسة هنا: التعرف على طبائع إنسانٍ ما من ظاهره. يريد: أنه كان يتوسَّم في ولـديه خُلُقاً كريمـاً، فقد بان له منهما ما كان يظنه فيهما.

(٢) من ترجمة الفراء في «تاريخ بغداد» ١٤ : ١٥٠ للخطيب.

من أخبار الصبر على العلم

١

وعانَقَ المجدَ مَنْ أَوْفَى . .

قال أبو نصرٍ هارونُ بنُ موسى بن جَنْدلٍ النَّحْويُّ المتوفَّى سنة ٤٠١ هـ:

كنا نختلِفُ[١] إلى أبي علي البغداديِّ رحمه الله[٢] وقتَ إملائه «النوادر»[٣] بجامع الزَّهراء، ونحن في فصل الربيع، فبينا أنا ذات يومٍ في

---

(١) أي: نتردد إليه لحضور مجلسه.

(٢) أبو علي البغدادي: هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القاليُّ، نسبة إلى قالي قَلا، المتوفَّى سنة ٣٥٦، أقام في بغداد زمناً، فلما رحل إلى الأندلس قيل له: البغدادي، وكان من أئمة اللغة والعربية والأدب.

(٣) «النوادر» هو أشهر كتب أبي علي القالي، ويعرف أيضاً بـ «أمالي أبي علي القالي» وهو مطبوع في جزأين، ولأبي =

بعض الطريق، إذْ أَخَذَتْني سَحَابةٌ[1]، فما وصلتُ إلى مجلسه رحمه الله إلا وقد ابتلَّتْ ثيابي كلُّها، وحَوَالَيْ أبي عليّ أعلامُ أهلِ قُرْطُبَة، فأمرني بالدُّنُوِّ منه وقال لي:

مهلاً يا أبا نصر! لا تأسَفْ على ما عَرَض لك، فهذا شيء يَضْمَحِلُّ عنك بسرعة: بثيابٍ غيرِها تُبَدِّلُها، ولقد عَرَض لي ما أبقى بجسمي نُدُوباً[2] تَدْخُلُ معيَ القبرَ!.

ثم قال لنا:

كنتُ أختلِف إلى ابن مجاهدٍ رحمه الله[3]،

= عبيد البكري المتوفَّى ٤٨٧ «التنبيه على أوهام أبي علي القالي» طبع في مجلد، وله شرح عليه سماه «سِمْط اللآلي» طبع في مجلدين كبيرين.

(١) أي: أصابني مطر شديد فَجْأَةً.

(٢) النُّدوب: جمع نَدَبة، وهي: أثر الجُرح الباقي على الجلْد.

(٣) هو الإمام المقرىء أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي المتوَفَّى سنة ٣٢٤.

فأَدْلجتُ[1] إليه لأتقرَّبَ منه، فلما انتهيتُ إلى الدربِ الذي كنتُ أخرجُ منه إلى مجلسه أَلْفَيْتُه[2] مُغْلَقاً، وراث[3] عليَّ فَتْحُه، فقلت: سبحان الله! أُبكِّر هذا البُكُورَ وأُغْلَب على القُرب منه[4] !.

فنظرتُ إلى سِرْبٍ[5] بجنب الدار، فاقتحمْتُه[6] ، فلما توسَّطتُه ضاق بي، ولم أَقْدِرْ على الخروج ولا على النهوض، فاقتحمْتُه أشدَّ

---

(١) الإدْلاج: السير من أول الليل، أو السير في أي وقت من الليل شئت.

(٢) ألفيتُه: وجدته.

(٣) راث: أبطأ، يريد: صَعُب فتحه فتأخَّر.

(٤) غُلب عليه: قُهِر. يريد: بكَّرتُ، لكني تأخرت، فَسَأُسبَق من قِبَل غيري، ممن لم يبكِّر تبكيري، وحينئذ يَقْرُبُ مجلسه من الشيخ! فهذا مما يَقْهَر.

(٥) السِّرْب: الطريق المنحدِر.

(٦) اقتحمتُه: رميت بنفسي فيه.

اقتحامٍ حتى نَفَذْتُ بعد أن تخرَّقتْ ثيـابي، وأثَّر السِّـرْبُ في لحمي حتى انكـشف العظم!!. ومنَّ الله عليَّ بـالخروج، فـوافيتُ[1] مجلس الشيـخ على هذه الحال!.

فأين أنتَ مما عَرَض لي؟! وأنشدنا[2]:

دَبَبْتَ للمجدِ، والسَّاعون قد بَلَغوا
جَهْدَ النفوس وأَلْقَـوْا دونه الأُزُرا[3]

---

(١) وافيتُ: أتيت ووصلت.

(٢) لفظ أبي علي في «الأمـالي» ١: ١١٣: «وقـرأت على أبي بكـر بن دريد لبعض العـرب». وقال أبـو عبيد البكـري في «السِّمْط» ١: ٣٣٩: **«هذا الشعر لحَوْط بن رئاب الأسدي، شاعرٌ إسلاميٌ، وأحسبه أدرك الجاهلية»**.

(٣) دببتَ: مشيتَ على هِيْنتـك. والسـاعـون: جمـع، مفـرده: ســاعٍ، وهـو من السَّعْي، ومعنــاه: السيـر الســريـع دون الرَّكْض. والأُزُر: جمع إزار.

والمعنى: ألقَـوْا عنهم أُزُرَهـم قبـل أن يصلوا إلى المجــد، تخفُّفاً واستعانة على السعي والجَرْي.

وقـولـه «دببت»: قــال البكـري في «السِّمط» ١: ٣٣٩ في =

فكابَدوا المجدَ حتى مَلَّ أكثرُهم،
وعانَقَ المجدَ مَنْ أَوْفَى ومَن صَبَرا[1]
لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكِلُه
لن تَبْلُغَ المجـدَ حتى تَلْعَقَ الصَّبِـرا[2]

= ضبط التـاء: «ورواية ابن الأعـرابي: «دببتُ للمجـد» يعني نفسه، كذلك نقلته من «نـوادره» بخط الحامِض أبي مـوسى أصل أبي علي». وضبطتها بالفتح لمناسبة القصة.

(١) كابَدوا المجد: غالَبوا رِفْعة المجـد وصعوبـاتِه، حتى كلَّتْ قُوَاهم، فملَّ أكثرهم. والمجد: نيل الشرف والـوصول إلى معـالي الأمـور. وعـانق المجـد: كنـايـةٌ عن بلوغِ بعضهم لمـراده وحصـولِـه على المعـالي التي طَلَبهـا، وفيـه تشبيـه بـديـع. وشَـرْط الـوصــول إلى المجـد: أن يُعْــطَى حقَّـه ومُتَطَلَّباتِه، وهذا هو (مَن أوفى) أي: أعطاه حقَّه ووفّاه إياه. ومِن أهمِّ متـطلَّباتـه: الصبـرُ على عقبـاتِ طـريق المجـد، لذلك خصَّه بالذِّكْر: «ومن صَبَرا».

(٢) لا تظنَّ أن بلوغ المجد لقمةٌ حلوةٌ سائغـةٌ، سهلةُ الوصـول إليهـا، وسهلةُ الأكـل، كـأكلك للتمـر! لا، لن تصــلَ إلى المجـد حتى تصيبَ الشيءَ الكثيـرَ من مـرارة العيش: حتى =

قال أبو نصر: فكتبناها عنه من قَبلِ أن يأتيَ موضعُها في «نوادره» وسَلَّاني[1] بما حكاه، وهان عندي ما عَرَض لي من تلك الثياب، واستكثرتُ من الاختلاف إليه، ولم أُفارِقْه حتى مات رحمه الله[2].

= تلعَق الصَّبِر، واللَّعْقُ: أبلغُ من الذَّوق وأكثرُ، والصَّبِر: عُصَارُة شجرٍ مرّ.

(1) سَلَّاني: نسَّاني: جعلني أَنْسى شدةَ ما عَرَض لي بما جرى له.

(2) الخبر في: كتاب «الصِّلَة» لأبي القاسم بن بَشْكُوال رحمه الله تعالى، ٢: ٦٥٦ رقم الترجمة ١٤٤١.

من أخبار الصبر على العلم

٢

عون الله لأحبابه

قال أبو العباس البكري، من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: جَمَعَتِ الرِّحلةُ بين محمد بن جرير - الطَّبَري - ومحمد بن إسحاق بن خُزَيمة، ومحمد بن نصر المَرْوَزيّ، ومحمد بن هارون الرُّوْياني بمصرَ، فأَرْمَلوا[1]، ولم يبقَ عندهم ما يَقُوْتُهم[2]، وأضرَّ بهم الجوعُ فاجتمعوا ليلةً في منزل كانوا يأْوون إليه، فاتفق رأيُهم على أن يَسْتَهِمَوا[3]، ويضرِبوا القُرْعة،

---

(١) أرملوا: نَفِد زادهم.

(٢) يقوتهم: يمسك أبدانهم من شدة الجوع.

(٣) يستهموا: تفسيرها ما بعدها: يضربوا القرعة.

فمن خرجتْ عليه القُرعة سأل لأصحابه الطعام.

فخرجت القُرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لأصحابه: أَمْهِلوني حتى أتوضأَ وأصليَ صلاةَ الخِيَرَة[1]، فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشُّموع، وخَصِيٌّ من قِبَل والي مصرَ يَدُقُّ الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته.

فقال: أيُّكم محمد بن نصر؟.

فقيل: هو هذا، فأخرج صُرَّة فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه.

ثم قال: أيُّكم محمد بن جرير؟.

فقالوا: هو ذا، فأخرج صُرَّةً فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه.

ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خُزَيمة؟.

---

(١) صلاة الخيرة: صلاة الاستخارة.

فقالوا: هو هذا يصلِّي، فلما فَرَغَ من صلاته دفع إليه الصُّرة وفيها خمسون ديناراً.

ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ وفَعَل به كذلك.

ثم قال: إن الأمير كان قائلاً[1] بالأمس، فرأى في المنام خَيَالاً قال: إن المحامد[2] طَوَوْا كَشْحهم[3] جياعاً، فأنفذ إليكم هذه الصِّرار، وأقسم عليكم إذا نَفِدَتْ فابعثوا إليَّ أحدَكم[4].

---

(١) قائلاً: نائماً وقت القيلولة، وهو منتصف النهار.

(٢) المحامد: جمع محمد، وهم الرجال الأربعة.

(٣) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، والمراد هنا: أنهم جياع يسترون جوعهم لا يُعرفون به.

(٤) من «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٢: ٢٥١.

الصبر في طلب العلم

قال الحافظُ ابنُ طاهر المقدسيُّ رحمه الله:

أقمتُ بتِنِّيسَ مـدةً على أبـي محمـدٍ[١] بن الحداد ونُظَرائِه، فضاقَ بيَ ـ الأمر ـ فلم يبقَ معي غيـرُ درهمٍ، وكنتُ أحتاجُ إلى خبـزٍ وكاغَـدٍ[٢]، فترددتُ في صَرْفه في الخبز أو الكـاغَد، ومَضَى على هذا ثلاثـةُ أيامٍ لم أَطْعَم فيهـا، فلما كـان بُكْرَة اليومِ الـرابعِ قلتُ في نفسي: لـو كان ليَ اليومَ كاغَدٌ لم يُمْكنِّي أن أكتبَ من الجوع.

---

(١) يريد: أقرأ العلم على أبي محمد.

(٢) الكاغد: الورق.

فجعلتُ الدرهمَ في فمي، وخرجتُ لَأشتريَ خبزاً، فَبَلَعْتُه! ووقع عليَّ الضَّحِك، فلقيَني صديقٌ وأنا أضحك، فقال: ما أضحكك؟ قلت: خير. فألحَّ عليَّ، وأبيتُ أن أخبره[1]، فحلفَ بالطلاقِ لَتَصْدُقَنِّي! فأخبرتُه، فأدخَلَني منزلَه، وتكلَّف أَطعمةً.

فلما خَرَجْنا لصلاة الظهر اجتمع به بعضُ وُكَلاء عامِل تِنِّيس[2] ابن قادوسٍ، فسأله عني، فقال: هو هذا. فقال: إن صاحبي ـ عاملَ تنيس ـ منذ شهر أَمَرني أنْ أُوصِلَ إليه كلَّ يوم عَشَرَةَ دراهمَ قيمتُها رُبُعُ دينار، وسَهَوتُ عنه؛ فأخذ منه ثلاثمائةِ درهم، وجاء بها ـ وقال: قد سهَّل الله رزقاً لم يكن في الحساب، وأخبرني

---

(١) أبى من إخباره تَعَفُّفاً.

(٢) العامل: الأمير والوالي.

بالقصة . . . وكان بعد ذلـك يَصِلُني ذلك القَـدْرُ
إلى أن خرجتُ إلى الشام ـ[1] .

---

(١) القصـة من «سيـر أعـلام النبـلاء» ١٩ : ٣٦٧، ومـا بـين المعتـرضين آخـر القصـة من خـاتمـة «الجمع بين رجـال الصحيحيين» ص ٦٣٦ .

٤

هجر الملذَّات في سبيل العلم

قال ابن أبي حاتم الرازي الإمام ابن الإمام:

كنا بمصرَ سبعة أشهر لم نأكُلْ مَرَقاً: كلُّ نهارِنا مُقَسَّم لمجالسِ الشيوخ، وبالليل: النَّسْخُ والمقابَلةُ، فأتينا يوماً أنا ورفيقٌ لي شيخاً، فقالوا: هو عَليلٌ.

فرأَيْنا في طريقنا سمكةً أَعجبتْنا، فاشتريناها، فلما صِرْنا إلى البيت، حضرَ وقتُ مجلسِ بعضِ الشيوخ، فلم يُمْكنّا إصلاحُهُ[1]، ومَضَيْنا

(١) هكذا ذكَّر الضمير العائد على مؤنث «سمكة»، على تقدير: رأس سمكة. أو على أنه واحد الحيتان.

إلى المجلس، فلم تَزَل السمكةُ حتى أَتَى عليها ثلاثةُ أيام، وكاد أن يتغيَّر، فأكلْناه نِيْئاً، لم يكن لنا فراغٌ أن نُعطيَه مَنْ يَشْويه. ثم قال: «لا يُستطاع العلم براحة الجَسَد»[1].

(١) من «تذكرة الحفاظ» ٣: ٨٣٠ و«سِيَر أعلام النبلاء» ١٣: ٢٦٦، وقوله: «لا يستطاع العلم...» من كلام يحيى بن أبي كثير البصري أسندها إليه مسلم في «صحيحه» ١: ٤٢٨.

٥

حِكَمٌ ووصايا جامعة

١ ـ ما عاقبتَ مَن عَصَى الله فيك بمثل أن تُطيعَ الله فيه.

٢ ـ وضَعْ أَمْرَ أخيك على أَحْسَنِه حتى يَجيئَك منه ما يَغْلِبُكَ.

٣ ـ ولا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خرجتْ من مسلم شَراً وأنتَ تجدُ لها في الخير مَحْمِلاً.

٤ ـ ومن كَتَم سِرَّه كانت الخِيَرَةُ بيده.

٥ ـ ومن عرَّض نَفْسَه للتُّهَمة فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ به الظنَّ.

٦ ـ وعليك بإخوان الصِّدْق، تَعِشْ في

أكنافهم، فإنهم زينةٌ في الرخاء وعُدَّةٌ في البلاء.

٧ ـ ولا تَهَاوَنوا بالحَلِف بالله عز وجل فَيُهينَكُم الله.

٨ ـ ولا تسألْ عما لم يكنْ، فإن فيما قد كان شُغُلاً عما لم يكن.

٩ ـ ولا تَعرِضْ لما لا يَعْنيك.

١٠ ـ وعليك بالصدق، وإن قَتَلَك الصدق.

١١ ـ ولا تطلبْ حاجَتَك إلى من لا يُحبُّ نجاحَها لك.

١٢ ـ واعتزِلْ عدوَّك.

١٣ ـ واحذرْ صديقك إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلَا من خَشيَ الله.

١٤ ـ ولا تصحبِ الفجَّار، فَتَعَلَّمَ من فجورهم.

١٥ ـ وذِلَّ عند الطاعة.

١٦ ـ واسْتَعْصِم عند المعصية.

١٧ ـ وتَخَشَّعْ عند القبور.

١٨ ـ واستَشِرْ في أمرك الـذين يخشون الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما يَخشَى اللّهَ من عباده العلماءُ﴾[1].

---

(١) أسند هذه الوصايا والحكم ابنُ النجار في «ذيل تاريخ بغداد» ٢ : ٢٣١، أسندها إلى سعيد بن المسيب قال: «وضع عمر بن الخطاب للناس ثماني عَشْرَةَ كلمةً، حِكَمٌ كلُّها» وذكرها، لكن في السند يعقوب بن الوليد الأزدي وقد حَكَم عليه الإمام أحمد وغيره بالكذب والوضع، فلذا لم أنسُبْها في صدر الكلام إلى سيدنا عمر رضي الله عنه، إنما ذكرتُها على أنها حِكَمٌ، لعظيم فائدتها.

من أخبار الصالحين

١

يا أرحم الراحمين

قال الإمامُ الليثُ بن سعدٍ رضي الله عنه: بَلَغني أن زيدَ بنَ حارثة ـ الصحابيَّ الشهير ـ اكْتَرى[1] من رجل بَغْلاً من الطائف، اشترط عليه المُكْرِي أن يُنْزِله حيثُ شاء.

قال: فمال به إلى خَرِبَةٍ[2]، فقال له: انزِلْ. فنزلَ، فإذا في الخَربة قَتْلى كثيرةٌ.

قال: فلما أراد أن يقتُلَه قال له ـ زيد ـ: دَعْني أصلِّ ركعتين.

---

(١) اكترى: استأجر، والمكري: المُؤْجِر.

(٢) الخَرِبة: موضع الخراب.

قال ـ المُكْرِي ـ: صَلِّ، فقد صلَّى قبلك هؤلاء فلم تَنْفَعْهم صلاتُهم شيئاً.

قال ـ زيد ـ: فلما صليتُ أتاني لِيقتُلَني، فقلت: يا أرحم الراحمين. قال: فسمع صوتاً: لا تَقْتُلْه. فهاب ذلك، فخرج يطلُبُ[1]، فلم يجدْ شيئاً، فرجع إليَّ، فناديتُ: يا أرحم الراحمين. فعل ذلك ثلاثاً.

فإذا أنا بفارس على فَرَس في يده حَرْبةُ حديدٍ في رأسها شُعْلةٌ من نار، فطَعَنه بها فأَنْفَذَه من ظهره، فوقع مَيْتاً.

ثم قال ـ الفارس ـ لي:

لما دعوتَ المرةَ الأُولى «يا أرحم الراحمين»: كنتُ في السماء السابعة.

---

(١) أي: يبحث ليرى مَن المتكلم.

فلما دعوتَ المرة الثانية «يا أرحم الراحمين» كنتُ في سماء الدنيا.

فلما دعوتَ في المرة الثالثة «يا أرحم الراحمين»: أتيتُك[1].

(١) الخبر من «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ١ : ٥٤٨ للإمام ابن عبد البرِّ رحمه الله تعالى، آخر ترجمة زيد بن حارثة.

من أخبار الصالحين

٢

أبو مسلم عبدُ الله بن ثُوَبٍ الخَوْلَانيُّ رضي الله عنه

عن شُرَحبيلَ بنِ مسلمٍ أن الأسودَ بنَ قيسٍ العَنْسيَّ الكذابَ لما ادَّعَى النبوةَ باليمن، بعث إلى أبي مسلم الخَوْلاني، فلما جاءه قال:

- أَتَشْهَدُ أني رسولُ الله؟.

قال أبو مسلم: ما أسمع[1].

قال الأسود: أتشهدُ أن محمداً رسول الله؟.

---

(١) قال الإمام النووي في المصدر المنقول عنه: «قوله «ما أسمع» يحتملُ معناه: لا أقبل، ويحتملُ أن الله سدَّ مسامعَه عن هذا الباطل. واقتصرَ بعضُ الأئمةِ على الاحتمال الأول، والثاني عندي أظهر» انتهى باختصار يسير.

قال: نعم.

فردّد ذلك عليه.

فأَمر بنارٍ عظيمة فأُجِّجَتْ، فأَلقَى فيها أبا مسلم، فلم تَضُرَّه. فقيل للأسود: اِنْفِهِ عنك، وإلّا أفسدَ عليك مَنْ تَبِعَك.

فأمره بالرَّحيل، فأتى أبو مسلم المدينةَ وقد تُوفي رسولُ الله ﷺ، واستُخْلِف أبو بكر رضي الله تعالى عنه.

فأناخَ أبو مسلمٍ راحلتَه بباب المسجد، فقام يُصلي إلى ساريةٍ، فَبَصُر به عمر، فقام إليه فقال:

ـ مِمَّنِ الرجُلُ؟.

فقال: من أهل اليمن.

قال عمر: فلعلكَ الذي حرَّقه الكذابُ بالنار؟.

قال أبو مسلم: ذلك عبدُالله بنُ ثُوَب ـ يريدَ

إبعادَ السُّمْعَة عن نفسه ـ.

قال عمر: نَشَدتُك الله أنتَ هو؟.

قال: اللهم نعم.

فاعتنقه ثم بكى، ثم ذَهب به حتى أَجلسَه فيما بينه وبين أبي بكر فقال:

الحمدُ لله الذي لم يُمِتْني حتى أَراني في أمة محمّد ﷺ مَن فُعِل به كما فُعِل بإبراهيمَ ﷺ خليلِ الرحمنِ[1].

(١) من «بستان العارفين» للإمام النووي رحمه الله ص: ٦٣.

٣

من مجابي الدعاء

قال الحافظ الثقة عباسٌ الدُّوْرِيُّ:

حدثنا عليُّ بنُ أبي حَزَارةَ ـ جارُنا ـ قال:

مرضتْ أمي وأُفْلِجَتْ وأُقْعِدتْ من رِجْليها دهراً ـ نحو عشرين سنة ـ فقالت لي يوماً:

لو أتيتَ هذا الرجلَ: أحمدَ بن حَنْبلٍ، فسألتَه أن يدعوَ الله لي.

قال: فَعَبَرْتُ[1] إلى أحمدَ، فَدَقَقْتُ عليه الباب، وكان في الدِّهْلِيز.

فقال: مَن هذا؟.

(١) عبرت: أي: جاوزت نهر دِجْلة من هذا الشاطىء إلى ذاك.

قلت له: يا أبا عبد الله رجلٌ من إخوانك.

قال: وما شأْنُكَ؟.

قلت: إن أمي مـريضـةٌ قـد أُقْعِـدتْ مـن رِجْليها، وهي تسألُك أن تدعوَ الله لها.

قـال: فجعل يقـول: يا هـذا فمَنْ يدعـو لنـا نحن؟! قـال ذلـك مـراراً.

فكأني اسْتَحييتُ ،فمضيتُ وقلت: سلامٌ عليكم.

فخـرجتْ عجوزٌ من منـزله فقـالت: إني قـد رأيتُـه يحـرِّكُ شَفَتَيْـه بشيء، وأرجـو أن يكـون يدعو الله لك.

قال: فرجعتُ إلى أمي فدقَقْتُ عليها الباب.

فقالت: مَنْ هذا؟.

فقلت: أنا عليٌّ.

فقامتْ ففتحتْ ليَ البابَ!.

فقلت: لا إله إلّا الله! أَيْشٍ[1] القصة؟.

فقـالت: لا أدري، إلّا أني قـد قمتُ على رجليَّ.

فعجبتُ من ذاك وحَمِـدتُ الله عـزَّ وجـلَّ.

قال: وذاك مسافةُ الطريق[2].

---

(١) كلمة عربية مختصرة من كلمتين: أيُّ شيء، وتلازم التنوين.

(٢) القصة من «ذيل تاريخ بغداد» ٣: ٢٤٧ لابن النجار، و«سير أعلام النبلاء» ١١: ٢١١.

أبو علي اللامِشِيّ

قال السمعاني: سمعت أبا بكر الزاهد السَّمَرْقَنْديَّ يقول:

بِتُّ ليلة مع الإمام اللامِشِيّ في بعض بساتينه، فخرج من باب البُستان نصفَ الليل، ومرَّ على وجهه، فقمتُ وتبِعْتُه من حيثُ لا يَعلم، فوصل إلى نهر كبير عميق، وخلَعَ ثيابَه، واتَّزَر بِمِئْزَر، وغاصَ في الماء، وبقي زماناً لا يَرفعُ رأسَه! فظننتُ أنه غَرِق، فصِحتُ وقلت: يا مسلمون غرق الشيخ!.

فإذا بعد ساعة[1] قد ظَهَر، وقال: يا بُنيَّ لا

(١) فترة زمنية يسيرة.

تَفْرَقَ.[1]

فقلت: يا سيدي، ظننت أنك غَرِقتَ!.

قال: ما غرقتُ، ولكنْ أردتُ أن أسجد لله سجدةً على أرضِ هذا النهرِ، فإن هذه أرضٌ أظنُّ أن أحداً ما سَجَد لله عليها سجدة!.[2]

---

(١) في المصدر المنقول عنه بطبعتيه: لا نغرق، وأظن صوابها ما أثبته، يريد أن يُطمئنَه فقال له: لا تخف، لأنه لما ظهر من الماء رأى علائم الخوف عليه فناسب أن يقول له: لا تفرق.

(٢) من «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» ١: ٢١٥ طبعة حيدرآباد، و٢: ١٢١ طبعة عيسى البابي الحلبي بتحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو.

. . . ولكنْ حبُّ من سَكَن الدِّيارا

قـال القـاضي عِيَـاضُ رحمـه الله في مـدح الحرمين الشريفين والحنين إليهما:

وجديرٌ[1] لمـواطنَ عُمِّرت بـالوحي والتنـزيل، وتَـرَدَّدَ بهـا جبـريـلُ وميكـائيـلُ، وعَـرَجتْ منهـا المـلائكـةُ والـروح، وضجَّت عَـرَصـاتهـا[2] بالتقديس والتسبيح، واشتملتْ تُرْبتُها على جسد

---

(١) وجدير: أي حقيقٌ وواجب. وهو خبر، مبتدأه يأتي بعد أسطر في قوله «أن تُعَظَّـم. . » فـ«أن» وما بعـدها في تـأويل مصـدر مبتدأ «جدير» تقديُره: تعظيم عرصاتها.

(٢) وضجَّت عَـرَصـاتهـا: أي ارتفعت الأصـوات في سـاحـاتهـا الواسعة الفسيحة.

سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارسُ آياتٍ[1]، ومساجد وصلوات، ومشاهدُ الفضائلِ والخيرات، ومعاهدُ البراهين والمعجزات، ومناسكُ الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقفُ سيد المرسلين، ومُتَبَوَّأُ[2] خاتَم النبيين، حيثُ انفجرتْ النبوَّة، وأين فاض عُبَابها[3]، ومواطنُ مهبِط الرسالة، وأولُ أرضٍ مسَّ جِلْدَ المصطفى ترابُها: أن تعظَّمَ عَرَصاتها، وتُتَنَسَّمَ نَفَحاتها،[4] وتقبَّل ربوعها[5] وجُدْرانها:

---

(١) مواضع وأماكن تدرس فيها آيات القرآن الكريم.

(٢) المتبوَّأ: المسكن ومحل الإقامة.

(٣) العُباب: الماء الكثير المتدفِّق.

(٤) يُتَقَصَّد ويتكلَّف شمُّ نسيمها المطيَّب المعطَّر.

(٥) الربوع: المنازل، وأصل معناها: المنازل في الربيع.

يـا دارَ خيـرِ المـــرسلين ومَن بـه

هُـــدِيَ الأنـــامُ وخُصَّ بـــالآيـــاتِ

عنـدي لأجلكِ لَـوْعـةٌ وصَبـابـةٌ

وَتَـشـــوُّقٌ مُتَـــوَقِّـــدُ الـجَمَـــرات[1]

وعليَّ عهـدٌ إنْ مَلأْتُ مَحَـاجِري

مِن تلكمُ الجُـدُرات والعَرَصـات[2]

لأُعَفِّـــرنَّ مَصُـــون شيبي بيـنهـــا

من كثـــرة التقبيـل والـــرَّشَفـات[3]

لـولا العـوادي والأعـــادي زُرْتُهـا

أبداً، ولو سَحْباً على الوَجَنـات[4]

---

(١) اللوعة: شدة الحب، والصبابة: نحوها في المعنى.

(٢) المحاجر: جوانب العين، ومَلْؤُها: إكثار النظر إلى ما يمدحه ويحبُّه. والجُدرات : الجدران.

(٣) عفَّر وجهه بـالتراب: أصـاب وجهه منـه. ومَصُون الشيب: من إضافة الصفة إلى الموصوف، يريـد: الشيب المصون ـ وهو المكرَّم ـ. ويريد بالرَّشَفات: التقبيل أيضاً.

(٤) العـوادي: الأمور المـانعة من الـزيـارة، والأعـادي: جمـع عدوّ.

لكن سأُهْدي من حَفيل تحيَّتي
لِقَطين تلك الدار والحُجُرات[1]

أزكى من المسكِ المفتَّقِ نفحةً
تغشاه بالآصال والبُكُرات[2]

وتخصُّه بزواكيَ الصلواتِ
ونواميَ التسليم والبركات[3]

---

(١) الحفيل: ما يُحتفَل به لكثرته ونفاسته. والقطين: الساكن المقيم.

(٢) المسك المفتَّق: المسك المخلوط بغيره من نفائس الطِّيب. نفحة: رائحة. تغشاه: تغطيه. الآصال: جمع أصيل، وهو وقت ما بعد العصر وقبل الغروب. والبُكُرات: جمع بُكْرة، وهي أول النهار.

(٣) الزواكي والنوامي: بمعنى واحد، وهو الزائدة المباركة. والنص من «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله ٢ : ٦٢٢ تحقيق البجاوي و٢ : ٥٨ بحاشية الشُّمُنِّي، و٣ : ٤٣٩ من «نسيم الرياض» للخفاجي.

نصائح

١ـ قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

---

١ ـ ذكره البخاري في صحيحه ١ : ١٦٥ بشرحه «فتح الباري».

ومعناه: تعلَّموا أمور دينكم قبل أن تصيروا سادة المجالس وصدورَها، فإن الجهل قبيح بكل إنسان، ومن صدور المجالس أشدُّ قبحاً.

وأيضاً: تعلَّموا أمورَ دينكم قبل أن تكون سادةً فَتُشْغَلوا بأعمالكم عن تعلُّم العلم.

وكلُّ سيادة لها مجالها، فالزوجُ سيدٌ في بيته، ويكون مَسُوْداً مرؤوساً في غير بيته، وليس مراد سيدنا عمر السيادة المُطْلَقة كالسلطان والملك.

وعلَّق الإمام البخاري بعد أن ذكر قول عمر هذا فقال: وبعد أن تُسَوَّدوا. أي تفقهوا وازدادوا فقهاً وعلماً قبل أن تكونوا سادة وبعد السيادة والرئاسة، فإن التوقُّف عن التعلُّم مذموم وقطيعة عن الخير، وركون إلى الجهل.

تَفَقَّهوا قبل أن تُسَوَّدوا.

٢ ـ وقال يحيى بن أبي كثير البصري أحد التابعين الفضلاء: ميراث العلم خيرٌ من ميراثِ الذهبِ، والنفسُ الصالحة خيرٌ من اللؤلؤ، ولا يُسْتَطاع العِلمُ براحةِ الجِسمِ.

٣ ـ وقال أبو العَيْناء محمد بن القاسم بن خلاد:

مَنْ لم يَركبِ المصاعب لم يَنَلِ الرَّغائب.

---

٢ ـ أسنده إليه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠ : ١٤٣ ـ ١٤٤، وأسند الجملة الأخيرة فقط الإمامُ مسلم في صحيحه ١ : ٤٢٨.

ومعناها: أن العلم لا يُنال مع راحة الجسم، لا ينال إلا بالتعب والجهد والكدِّ، أما مع الراحة فلن يكون العلم طَوْع إرادتك وتصرُّفك.

٣ ـ أسنده إليه الخطيب في «الفقيه والمتفقِّه» ٢ : ١٥ والمعنى كما تقدم برقم ٢. والرغائب: جمع رَغِيْبَة. وهي الشيء المرغوب فيه.

٤ ـ وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه:

لولا الفَرَق من الله تعالى أن يَضيعَ العلمُ ما أفتيتُ أحداً، يكون له المَهْنَأ وعليَّ الوِزْر!.

٥ ـ وقال الإمام أبو إسحاق إبراهيمُ الحَرْبيُّ رضي الله عنه:

---

٤ ـ رواه عنه الخطيب في «الفقيه والمتفقِّه» أيضاً ٢ : ١٦٨.
والفَرَق: الخوف. والمَهْنأ: الهناءة والراحة. يقول: لولا خوفي من الله عز وجل أن أَتَسَبَّبَ في ضياع العلم وموته لما أفتيتُ أحداً، ولصَرَفت عني كلَّ سائلٍ عن حكم شرعي، خشية أن أَتَحَمَّل مسئوليته، لأن الفتوى في دين الله تعالى خلافة عنه في بيان أحكام شريعته، فأكون قد تَحمَّلْتُ المسئولية، وقضيتُ للرجل حاجته واستراح.

٥ ـ من «الفقيه والمتفقه» ٢ : ٢٢. وللحربي كتاب «غريب الحديث» طبع بعضه، فلعل هذه الكلمة في مقدمته؟.
ويريد فيها: أن من العلوم الأساسية التي يحتاجها الفقيه: اللغةَ العربيةَ، فينبغي أن تكون له معرفةٌ تامة بها، وإلا خانه الفهم والتفقُّه، فإن اللغة العربية تخلَّلت في علوم الإسلام تخلُّل الروح في الجسد، فلا يَنْفكّان.

من تكلم في الفقه بغير لغةٍ تكلَّم بلسان قصير.

٦ ـ وقال الإمامُ العاقل الحكيم الخليل بن أحمد شيخ النَّحْو والعَرُوض:

لا تَرُدَّنَّ على مُعْجَب خَطَأه، فيستفيدَ منك علماً ويتخذَك عدوّاً.

---

٦ ـ من «المقاصد الحسنة» ص ٤٣٠ للحافظ السخاوي، وأسند نحو هذا اللفظ الخطيب في «الفقيه والمتفقه» ٢ : ١٣٨ إلى تلميذ الخليل أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى.

من أخبار الأجواد

١

إيثارُ امرأة

قال الواقدي: ضِقْتُ مرةً من المِرار ـ وأنا مع يحيى بنِ خالدٍ البَرْمكيِّ ـ، وحَضَر عيدٌ، فجاءتْني جاريةٌ فقالت:

ـ قد حَضَر العيدُ وليس عندنا من النفقة شيءٌ.

فمضيتُ إلى صديقٍ لي من التُّجَّار، فعرَّفتُه حاجتي إلى القَرْض، فأخرجَ إليّ كيساً مختوماً فيه ألفٌ ومائتا دِرهمٍ، فأخذْتُه وانصرفتُ إلى منزلي، فما استقررتُ فيه حتى جاءني صديقٌ لي هاشِميٌّ[1]، فشكا إليَّ تأخُّرَ غَلَّتِه، وحاجتَه

(١) منسوبٌ إلى جده: هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ الجدِّ الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم.

إلى القَـرْض، فـدخلتُ إلى زوجتي فـأخبـرتُهـا فقالت:

ـ على أيِّ شيءٍ عَزَمتَ؟.

قلت: على أن أقاسِمَه الكيسَ.

قالت: ما صنعتَ شيئـاً! أتيتَ رجلاً سُـوْقَةً[1] فأعطاك ألفاً ومائتي درهم، وجـاءك رجلٌ لـه من رسـول الله ﷺ رَحِمٌ ماسَّـةٌ[2] تُعـطيـه نصفَ مـا أعـطاك السُّوقَـةُ؟! ما هـذا شيئاً، أَعْـطِهِ الكيسَ كلَّه.

فـأخرجتُ الكيسَ كلَّه فـدفعتُهُ إليـه، ومَضَى صـديقي التـاجـرُ إلى الهـاشمي ـ وكـان لـه صديقٌ ـ، فسأله القَرْضَ، فأخرجَ الهـاشميُّ إليه الكيسَ، فلما رآه عرفه، وانصرف إليّ فخَبَّـرني بالأمر!.

---

(١) أي: من عامة الناس وليس ذا وَجاهةٍ ومكانة.

(٢) أي: قرابةٌ قريبةٌ.

وجاءني رسولُ يحيى بنِ خالدٍ يقول:

ـ إنما تأخَّر رسولي عنك لشُغْلي بحاجاتِ أمير المؤمنين، فركبتُ إليه، فأخبرتُه بخبر الكيس.

فقال: يا غلامُ هاتِ تلكَ الدنانيرَ.

فجاءه بعَشَرةِ آلافِ دينارٍ. فقال:

ـ خذْ ألفَيْ دينارٍ لك، وألفَينِ لصديقك، وألفَيْنِ للهاشمي، وأربعةَ آلافٍ لزوجتك، فإنها أكرمُكُم[1].

---

(١) من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٣: ١٩ ـ ٢٠.

٢

و «من عَجِيب ما يُـرْوَى في هــذا البـاب: أن الفَـرَزْدَقَ دخـل على يـزيـدَ بنِ المُهَلَّبِ، وهــو يُعَذَّبُ في سجن الحَجَّاج، فأنشده:

أبا خالدٍ ضاعتْ خُراسانُ بَعْـدَكُمْ
وقـال ذَوو الحاجـاتِ: أينَ يَـزيـدُ؟
فـلا قَطَرَتْ بـالمَرْوِ بعـدَك قَـطْرةٌ
ولا اخْضَرَّ بالْمَـرْوَيْنِ بعدك عُـودُ[1]
فمـا لِعـزيــزٍ بعـدَ عِــزِّكَ بهجـةٌ
ومـــا لِجــوادٍ بعـــد جُــودِكَ جُــودُ

وكان يزيـدُ قد أَعـدَّ مالاً يُصـانعُ بـه الحجاجَ لِيُقْصِر من تعذيبه[2]، فقال لِغلمانه: ادْفَعـوا إليه

(١) المَرْوُ، والمَرْوَين: اسمان لمدينتين عظيمتين في خُراسان.

(٢) وكان قدرُ المال: مائـةَ ألفِ درهم! كما في «وَفَيَـات الأعيان» =

المـالَ، ودعـوا لَحمي للحجـاج يُقَـطِّعُـه كيف يريد[1].

= لابن خَلِّكان ٦ : ٢٧٩ ترجمة يزيد المذكور. ويُصانِع بـه: أي يقدِّمه صنيعةً ورِشْوةً للحجاج ليَكُفَّ عن تعذيبه.

(١) من «فضل العَطاء على العُسْـر» لأبي هلالٍ العَسْكـري ص: ٢٢.

من أخبار الأجواد

٣

«وأعجب من هذا: أن عمرَ بنَ عُبيد الله بنِ مَعْمَر مرَّ بِزَنْجِيٍّ يأكلُ عند حائطٍ - أي بستانٍ - وبين يديه كلبٌ، إذا أكل لُقمةً طرحَ له لُقمة.

فقال له: أهذا الكلبُ كلبُك؟.

قال: لا.

قال: فلِمَ تُطْعِمُه مثلَ ما تأكل؟.

قال: إني أستحيي من ذي عينينِ ينظرُ إليَّ أن أَسْتَبِدَّ[1] بمأكولٍ دونَه.

قال: أَحُرٌّ أنتَ أم عبدٌ؟.

قال: عبدٌ لبعضِ بني عاصم.

---

(١) أي: أَنفردَ به من غيرِ مُشاركٍ فيه.

فأتى عمرُ ناديَهم فاشتـراه واشترى الحـائطَ، ثم جاءه فقال:

ـ أَشَعَرْتَ أن الله قد أعتقك؟.

ـ قـال: الحمـد لله وحـده، ولِمَن أعتقني بعده.

قال: وهذا الحائطُ لك.

قال: أُشْهِدُكَ أنه وقفٌ على فُقراءِ المدينة.

قال: ويحكَ[1]! تفعلُ هذا معَ حاجتِك؟.

قال: إني أستحيي من الله أن يَجودَ لي بشيء فأبخلَ به عليه»[2].

---

(١) ويحـك: كلمـة تقـال في حـال التـرحُّم والإشفـاق على المخـاطب، أمـا ويلك: فتقـال في الـدعـاء على المخـاطب بالهلاك.

(٢) من «فضل العطاء على العسر» أيضاً ص: ٢٣.

من هدي القرآن الكريم

١

من دعاء الآباء للأبناء ووصاياهم

﴿وإذْ قالَ إبراهيمُ: ربِّ اجْعَلْ هذا بلداً آمناً وارْزُقْ أهلَه مِنَ الثمـراتِ مَنْ آمنَ مِنهـم بـالله واليومِ الآخرِ، قال: ومَن كَفَر فأُمتِّعُه قليـلًا، ثم أَضْطَرُّه إلى عذابِ النارِ، وبِئسَ المصيرُ.

وإذْ يـرفعُ إبـراهيمُ القـواعـدَ من البيـتِ[1] وإسماعيلُ، ربَّنـا تَقَبَّلْ منّـا. إنك أنتَ السميـعُ العليمُ.

ربنـا واجْعَلْنـا مسلمَيْنِ لـكَ ومِن ذُرِّيَّتِنا أمـةً

---

(١) البيت: الكعبة المعظمة، والقواعد: أُسُسُها المبنيَّةُ عليها.

مسلمةً لكَ، وأَرِنَا مناسِكَنا، وتُبْ علينا، إنك أنتَ التوابُ الرحيم.

ربنا وابْعَثْ فيهم رسولاً منهم[1] يَتْلو عليهم آياتِكَ ويُعَلِّمُهمُ الكتابَ والحكمةَ[2] ويُزَكِّيهم، إنك أنت العزيزُ الحكيم.

ومَنْ يَرْغَبُ عن مِلةِ إبراهيمَ إلّا مَن سَفِهَ نَفْسَه؟! ولقدِ اصْطَفَيْناه في الدنيا، وإنه في الآخرة لَمِن الصالحين. إذْ قال له ربه: أَسْلِمْ، قال: أسلمتُ لربِّ العالَمين.

---

(١) هو سيدنا محمد ﷺ، لذلك قال ﷺ عن بدء أمره: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشْرى عيسى...» رواه أحمد في «مسنده» ٤ : ١٢٧ عن العِرْباض بن سارية، قال الهيثمي ٨: ٢٢٣ : «أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبّان» ورواه ٥ : ٢٦٢ عن أبي أُمامة الباهلي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٨: ٢٢٢ : «إسناده حسن وله شواهد تقوِّيه».

(٢) الحكمة: هي الحديث النبوي الشريف.

ووصَّى بها[1] إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ: يا بَنِيَّ إن الله اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ، فلا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون.

أم كنتُم شُهداءَ إذْ حَضَرَ يعقوبَ الموتُ إذْ قال لبنيه: ما تَعبدونَ مِن بعدي؟ قالوا: نعبُد إلَهَك وإلَهَ آبائِكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ إلَهاً واحداً، ونحن له مسلمون﴾[2].

---

(١) بكلمة الإخلاص والتوحيد: لا إله إلاّ الله.

(٢) الآيات من سورة البقرة الآية ١٢٦ ـ ١٣٣.

من هدي القرآن الكريم

٢

من دلائل وحدانيَّة الله عزَّ وجلَّ

﴿قل: الحمدُ لله، وسلامٌ على عباده الذينَ اصْطَفَى، آللَّهُ خيرٌ أمَّا يُشْرِكون؟! أمَّنْ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ وأنْزلَ لكم من السماءِ ماءً فأنْبَتْنا به حَدَائقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ، ما كان لكم أنْ تُنْبِتوا شَجَرَها؟ أَإِلَهٌ مع الله؟ بلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلون(١).

أمَّن جعلَ الأرضَ قَراراً، وجَعَلَ خِلالَها أنهاراً، وجَعَلَ لها رواسيَ، وجَعَلَ بين البَحْرينِ(٢) حاجزاً؟ أَإِلَه مع الله؟! بل أكثرُهم لا يَعلمون.

---

(١) يشركون ويميلون عن الحق إلى الباطل.

(٢) الماء العَذْب والماء المِلْح لا يختلطان معاً في البحر.

أَمَّن يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعاه ويَكشِفُ السوءَ، ويجعلُكُم خُلَفاءَ الأرض؟ أَإِلَهٌ مع الله؟! قليلاً ما تَذَكَّرون.

أَمَّن يَهْدِيكم في ظُلُماتِ البرِّ والبحرِ؟ ومن يُرسلُ الرياحَ بُشْراً بين يَدَيْ رحمته؟[1] أَإِلَه مع الله؟! تعالى الله عما يُشْركون.

أَمَّن يَبدأ الخَلْقَ ثم يُعيدُه، ومَنْ يَرزقُكُم من السماء والأرضِ؟ أَإِلَه مع الله؟! قل: هاتُوا بُرْهانَكُم إنْ كنتُم صادقين﴾[2].

---

(١) الرحمة هنا: المطر.

(٢) الآيات من سورة النمل: ٥٩ ـ ٦٤.

من هدي القرآن الكريم

٣

من وصايا الآباء للأبناء

﴿وإذْ قال لُقْمانُ لابْنِـه ـ وَهُو يَعِـظُه ـ: يا بُنَيَّ لا تُشرِكْ بالله، إن الشِّرْكَ لظُلْمٌ عظيم.

ووصَّيْنـا الإنسانَ بـوالدَيْـه، حَمَلَتْه أُمُّه وَهْنـاً على وَهْن[١]، وفِصـالُه في عـامين[٢]، أَنِ اشْكُرْ لي ولوالدَيْك، إليَّ المصيرُ. وإنْ جـاهَدَاك على أَنْ تُشْرِكَ بي ما ليس لك به عِلْمٌ: فلا تُطِعْهُما، وصاحِبْهما في الـدنيا معـروفاً، واتَّبِـعْ سبيلَ مَنْ

---

(١) تزداد ضَعفاً على ضَعف.

(٢) أي: فطامُه في سنتين.

أنابَ إليّ[1]، ثم إليَّ مَرْجِعُكم، فأُنَبِّئُكم بما كنتم تعملون.

يـا بُنيَّ إنها إنْ تَـكُ مِثْقالَ حَبَّـةٍ من خَـرْدَلٍ، فَتَكُنْ في صخــرة أو في السمـواتِ أو في الأرضِ يأتِ بها الله، إن الله لطيفٌ خبير.

يـا بنيَّ أقمِ الصلاةَ، وأْمُـرْ بالمعـروف، وانْهَ عن المنكـر، واصْبِرْ على مـا أصابـك، إن ذلك من عَزْمِ الأمورِ[2].

ولا تُصَعِّـرْ[3] خَـدَّكَ للنــاس، ولا تَمْشِ في الأرض مَـرَحـاً[4] إن الله لا يُحبُّ كـلَّ مُختـالٍ فَخُور.

---

(١) أقبَلَ على الله تعالى.

(٢) أي: واجبات الأمور.

(٣) لا تُعرضْ عن الناسِ بوجهك تكبُّراً.

(٤) خُيَلاء.

واقصِدْ في مَشْيِكَ[1]، واغْضُضْ مِن صوتِكَ، إنَّ أنكرَ الأصواتِ لَصَوتُ الحمير﴾[2].

---

(١) تَوَسَّطْ في مِشْيتك، بين التأنِّي والسرعة.

(٢) الآيات من سورة لقمان: الآية ١٣ ـ ١٩.

من هدي النبي ﷺ

١

كيف يُقبض العلم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يَقْبِضُ العلمَ انتزاعاً[١] يَنْتَزِعُه من العِباد، ولكن يَقْبِضُ العلم بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتَّخَذَ الناسُ رؤوساً جُهّالاً، فَسُئِلوا فأَفْتَوْا بغيرِ علمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»[٢].

---

(١) قال الحافظ في «فتح الباري» ١ : ٢٠٥ : «انتزاعاً: أي: مَحْواً من الصدور، وكان تحديثُ النبي ﷺ بذلك في حجة الوداع».

(٢) الحديث رواه البخاري في «صحيحه» كتاب العلم - باب =

. . . .

= كيف يقبض العلم ١ : ٢٠٥ ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما يُذكر من ذمّ الرأي وتكلُّف القياس ١٧ : ٤٣ ، وأفاض الحافظ في الكلام عليه، ولخَّص ما عنده العلامة المناوي رحمه الله في «فيض القدير» ٢ : ٢٧٣ وزاد عليه كلاماً نفيساً للراغب الأصفهاني رحمه الله.

ومما فيه: «في الحديث: تحذيرٌ من ترئيس الجهلة، وأن الفتوى هي الرئاسة الحقيقية، وذمٌّ من يُقْدِمُ عليها بلا علم، ولا يلزم من بقاء القرآن حينئذ بقاء العلم، لأنه مُسْتَنْبَطٌ منه . . .

قال الراغب: لا شيءَ أوجبُ على السلطان من رعاية أحوال المتصدِّين للرئاسة بالعلم، فمن الإخلال بها ينتشر الشرُّ ويكثر الأشرار، ويقع بين الناس التباغض والتنافر . . .» إلى آخر ما فيه، وهو في كتابه «الذريعة» ص ١٥٨ .

من هدي النبي ﷺ

٢

من وصاياه الجامعة ﷺ

عن أبي ذَرٍّ الغِفاري رضي الله عنه قال:

قلت: يا رسول الله أَوْصِني.

قال: «أُوصيك بتقوى الله، فإنها رأسُ أَمرِك»[(١)].

قلت: يا رسول الله زِدْني.

قال: «عليك بتلاوةِ القرآنِ، وذِكْرِ الله، فإنَّ ذلك لك نورٌ في السموات، ونورٌ في الأرض».

---

(١) التقوى: عمل ما يَقِيك ويحفظُك من نار الله وعذابه، لذلك وَصَفها النبي ﷺ بأنها رأس الأمر، ومعنى رأس الأمر: مجتمعُ الخير. فالوصية بها وصية بكل خير.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «لا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فإنه يُميتُ القلبَ[1]، ويُذْهِبُ نورَ الوجه»[2].

قلت: يا رسول الله زِدْني.

قال: «عليك بالجهاد، فإنه رَهْبانيَّةُ أُمتي»[3].

قلت: يا رسول الله زِدْني.

قال: «عليك بالصَّمتِ إلا من خير، فإنه مَطْرَدةٌ للشيطان عنك، وعَوْنٌ لك على أمرِ دينك»[4].

---

(١) أي: إن الضحك يُقَسِّي القلب، وقسوة القلب سبب الغفلة عن الله، وليس موت القلب إلّا الغفلة.

(٢) نور الوجه: بهاؤه ووقاره، فمن أكثر الضحك سقطت هيبته.

(٣) عليك بالجهاد: أي: الْزَمِ الجهاد ولا تتركه. والرَّهْبانيَّة: ما يتكلَّفُه النصارى من أنواع المجاهداتِ والتبتُّلِ، فكذلك الجهاد وبالنسبة للأمة المحمدية، هو رهبانيتها وتفرغها من الدنيا ومشاغلها.

(٤) الطرد: هو الإبعاد، والمعنى هنا: أن الصمت سبب لإبعاد

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «انْظُرْ إلى مَن هو دونك، ولا تنظُرْ إلى من هو فوقَك[1]، فإنه أَجْدَرُ أن لا تَزْدَرِيَ نعمةَ الله عندك»[2].

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «صِلْ قَرَابَتَكَ وإن قَطَعوك»[3].

= الشيطان عنك، فتُحفَظَ منه، فتَعانَ على القيام بأمور دينك. والصمت يحتاج إلى مجاهدة «لأنه سكوت مع القدرة على الكلام، وهذا هو المأمور به» كما قال المناوي في «فيض القدير» ٦: ٢١٠.

(١) وهذا إنما يكون في الأمور الدنيوية، أما في الأمور الدينية: فينبغي أن ينظر إلى من هو فوقه فيها.

(٢) أجدر: أي أحقُّ وأخلقُ، والمعنى: لكيلا تزدريَ نعمةَ الله عليك. والازدراء: الاستخفاف والاحتقار.

(٣) صِلْ: فعل أمر من وَصَل، وهو أمر بصلة الأرحام وإن قطعوا رحمك، وفي الحديث: «ليس الواصلُ بالمكافىء، ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قُطِعتْ رَحِمُه وَصَلَها». رواه البخاري عن ابن عَمْرٍو مرفوعاً ١٠: ٤٢٣ ـ بشرحه «فتح الباري» ـ.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «لا تَخَفْ في الله لَوْمَةَ لائم».

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: «تُحِبُّ للناس ما تُحبُّ لنفسك».

ثم ضرب بيده على صدري فقال: «يا أبا ذر لا عَقْلَ كالتدبير[1]، ولا وَرَعَ كالكفِّ[2]، ولا حَسَبَ[3] كحُسْنِ الخُلُق»[4].

---

(1) أي: أفضل العقل وأكمله ما يَحملُ الإنسانَ على النظر في عواقب الأمور قبل الوقوع فيها. فالتدبير: بمعنى التدبُّر، كما في «القاموس».

(2) أي: الورعُ الحقُّ الصحيح ما حَمَل صاحبه على الكفِّ عما يَشْتبه المسلم في حِلِّه وحرمته. لأن الورع: اجتناب الشُّبُهات.

(3) الحَسَب: مكارمُ الرجل ومآثِرُه. والمعنى: أن الذي يُكْسِب المفاخرَ والمكارمَ للرجل هو حُسْنُ خُلُقه.

(4) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢: ١٦٨. وفيه إبراهيم بن هشام الغساني، وهو مختلَف فيه، وقال العزيزي=

. . . .

= في «شرحه على الجامع الصغير» ٢ :٨٣: «قال الشيخ: حديث صحيح». وشيخه هذا: هو العلامة محمد حجازي الواعظ المتوفى سنة ١٠٣٥ رحمه الله، وله شرح كبير محقَّق على «الجامع الصغير» يُكثر العزيزيُّ النقلَ عنه، ويُصدِّره بقوله «قال الشيخ».

٣

ثوابُ المُتَحابِّين في الله

عن أبي مسلمٍ الخَوْلانيِّ قال:

دخلتُ مسجدَ حِمصَ، فإذا فيه نَحْوُ مِن ثلاثينَ كَهْلاً[١] من أصحابِ النبيِّ ﷺ، فإذا فيهمْ شابٌّ أَكْحَلُ العَيْنَيْنِ[٢]، بَرَّاقُ الثَّنايا[٣]، ساكتٌ، فإذا امْتَرى القومُ[٤] في شيء أَقبلوا عليه فسأَلوه.

فقلتُ لجليسٍ لي: مَنْ هذا؟.

---

(١) الكهل: مَن جاوز الثلاثين من عمره.

(٢) كَحَلُ العين: سَوَادٌ يَعْلو جُفونَها.

(٣) الثنايا: مُقَدَّم الأسنان.

(٤) امترى القوم: شَكُّوا في الأمر.

قال: هذا معاذُ بنُ جَبَلٍ.

فوقعَ لـه في نفسي حبٌّ، فكنتُ معهم حتى تَفَـرَّقـوا، ثم هَجَّـرْتُ[1] إلى المسجـد، فـإذا معاذُ بنُ جبل قائمٌ يُصَلِّي إلى ساريةٍ، فسكتَ لا يُكَلِّمني، فصلَّيتُ، ثم جلستُ، فاحْتَبَيْتُ بِـرِداءٍ لي[2]، ثم جلسَ، فسكتَ لا يُكَلمني وسكتُّ لا أُكلمُه، ثم قلت:

ـ واللهِ إني لأحبُّك.

قال: فيمَ تُحِبُّني؟.

قلت: في الله تبارك وتعالى.

---

(١) أراد: ذهبت مُبَكِّراً قبل حُلولِ وقت الصلاة.

(٢) الاحْتِباء: أن ينصبَ الإنسانُ ساقَيْهِ ويَضُمَّهما إلى بطنه، وقد يتمكَّن من هذا الضمِّ بواسطةِ ثوب يَجمع به ساقَيْه إلى ظهـره وقد يكون ذلك بيديه: يَعْقِدُ بين أصابع كفيه جامعاً ساقيه إلى بطنه. يفعل الرجل ذلـك للاستراحة من طول الجلوس وعدمِ تَمَكُّنِه من الاستناد إلى جـدارٍ أو ساريـةٍ ـ مثلاً ـ. ولـذا قيل: العمائمُ تِيْجانُ العربِ، والاحْتِباءُ حِيطانها.

فأَخَذَ بحَبْوَتي فَجَرَّني إليه هُنَيَّة[1] ثم قال:

ـ أَبْشِـرْ إنْ كنتَ صـادقـاً، سمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقول:

«المُتَحـابّونَ في جَـلالي لهمْ منـابـرُ من نـورٍ يَغْبِطُهُمُ[2] النبيُّونَ والشُّهداءُ».

قال ـ أبو مسلم ـ: فخـرجتُ فلقِيتُ عُبادةَ بنَ الصامِتِ فقلت:

ـ يا أبا الوليدِ ألَا أُحَدِّثُك بما حَدَّثني معاذُ بنُ جبل في المُتَحابِّين؟.

قال: فأنـا أُحَدِّثُـكَ عن النبيِّ ﷺ يَرْفَعُـه إلى الربِّ عزَّ وجلَّ[3] قال:

---

(١) أي: بلطف.

(٢) الغِبْـطة: أن تَتَمنَّى لـك مثـلَ مـا على غيـرك من النِّعم دون زوالِها عنه، والحسد: تمني ذلك مع تمني زوالها عنه.

(٣) فهو حديث قدسيٌّ.

«حَقَّتْ[1] محبتي للمُتَحـابِّيـن فيَّ، وحَـقَّتْ محبتي لـلمُتَـزاوِرِيـن فيَّ، وحَـقَّتْ مـحبتـي للمُتَبـاذِلين فيّ، وحقَّتْ محبتي لـلمُتَـواصِـلين فيَّ»[2].

(١) أي ثَبَتَتْ محبةُ الله تعالى لمن أحبَّ أخاه المسلمَ حباً خالصاً لوجه الله تعالى دون قَصْدٍ دنيويٍّ، ولمن زار أخاه زيارةً صادقةً كذلك، ولمن بذل المالَ وغيـرَه لأخيه المسلم سَمْحـاً رَضِيّاً، ولمن وصل رَحِمَه وصداقَتَه لوجه الله تعالى وعلى وجه شرعي يُرْضيه سبحانه.

(٢) رواه الإمام أحمدُ في «مُسْنَده» ٥ : ٢٣٩، وفي مواضع أخرى قبله نحـوَه، وروى الترمـذيُّ ٧: ١١٩ حـديثَ معـاذٍ فقط ـ وليس فيه قصتُه مع أبي مسلم ـ وقال: حسن صحيـح، وأشار إلى حديث عُبَادة بن الصامت.

٤

من بركات سيدنا رسول الله ﷺ

عن حَنْظَلةَ بن حِذْيَمٍ أنه وَفَد إلى النبي ﷺ مع جَدِّه حَنِيفةَ، فقال حَنيفةُ للنبي ﷺ:

إنَّ لي بَنينَ ذَوِي لِحَىً، ودون ذلك[1]، وإنَّ ذا أَصغَرُهم، فادعُ الله له. فمسح ـ النبي ﷺ ـ رأسَه، وقال: «بارَكَ الله فيك» ـ أو: بُورِكَ فيك ـ.

قال ذَيَّالٌ ـ حفيدُ حنظلةَ ـ: فلقد رأيتُ حَنظلةَ يُؤْتَى بالإنسان الوارمِ وَجْهُهُ، أو البهيمةِ الوارمةِ

(١) ذوي لحىً: أصحابَ لحىً، كباراً في السنِّ لكل واحد منهم لحية. ودون ذلك: أي: أصغر.

الضَـرْعِ فَيَتْفُلُ[1] على يـديه ويقـول: بسم الله، ويضعُ يدَه على رأسه ويقـول على موضعِ كفِّ رسول الله، فيمسحُه عليه.

قال ذَيَّالٌ: فيذهبُ الوَرَم[2].

---

(1) التَّفْل: نفخٌ للنفَس فيه شيء من الرِّيق.

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٥: ٦٧ ـ ٦٨، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤: ٢١٠ و ٩: ٤٠٨: «رجاله ثقات».

من سيرة الصحابة رضي الله عنهم

١

إسلامُ خالدِ بنِ الوليدِ رضي الله عنه
وأن العقلَ السليمَ يَهْدي إلى الإسلام

قال خالدُ بنُ الوليد: كان أخي الوليدُ بنُ الوليد قد دخلَ مع النبي ﷺ عُمْرةَ القَضِيَّة[١]، فطَلَبني (أي أخي) فلم يَجِدْني، فكتبَ إليّ كتاباً فإذا فيه:

(١) عمرة القضية: هي العمرة التي اعتمرها النبي ﷺ ومعه ألفان من الصحابة، سنة سبع من الهجرة، وذلك بعد العمرة التي قصدها النبي ﷺ ومعه ألف وأربعمائة من الصحابة، فصدَّهم أهل مكة عنها، وكان ذلك سنة ستّ. انظر بحثاً ممتعاً فيها في كتاب «حجة الوداع وجزء عُمُرات النبي ﷺ» ص ٢٨٧ وما بعدها، لشيخنا شيخ الحديث العلامة الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المدني، دفين البقيع، المتوفَّى غُرَّة شعبان ١٤٠٢، رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ فإني لم أرَ أعجبَ من ذهابِ رأيِكَ عن الإسلام، وعَقْلُكَ[1]!! ومِثْلُ الإسلامِ جَهِلَه أحدٌ؟! وقد سألني رسولُ الله ﷺ عنك وقال: «أين خالدٌ؟» فقلت: يأتي الله به. فقال: «مِثْلُه جَهِلَ الإسلامَ؟ ولو كان جَعَل نِكايَتَه[2] وجِدَّه مع المسلمين كان خيراً له، ولَقَدَّمْناه على غيره» فاسْتَدْرِكْ يا أخي ما قد فاتَكَ من مَواطِنَ صالحةٍ.

قال خالد: فلما جاءني كتابُه نَشِطتُ للخروج، وزادني رغبةً في الإسلام، وسَرَّني سُؤَالُ رسولِ الله ﷺ عني.

---

(١) أي: عقلُك معروفٌ برَجاحَتِه وسَداده، فكيف تأخرتَ عن الدخول في الإسلام؟!.

(٢) أي: لو وَجَّه قتله وشِدته إلى الكافرين، وجعل ذلك منه في صفوف المسلمين: لكان خيراً له.

وأَرَى في المنام كأني في بلادٍ مُجْدِبة، فخرجتُ في بلاد خضراءَ واسعةٍ! فقلتُ: إن هذه لَرُؤْيا. فلما أنْ قَدِمتُ المدينةَ قلت: لأَذْكُرنَّها لأبي بكر رضي الله عنه.

فقال ـ أبو بكر ـ: مَخْرَجُك: الذي هداكَ الله للإسلام. والضيقُ: الذي كنتَ فيه من الشرك.

(ثم ذكر اجتماعَه بعثمانَ بنِ طلحةَ وعمروِ بنِ العاص، وذهابَهم جميعاً إلى النبي ﷺ ليُسْلموا).

قال خالد: فاصْطَحَبْنا جميعاً حتى دَخَلْنا المدينةَ، فأُخْبِرَ بنا رسولُ الله ﷺ، فَسُرَّ بِنا، فلبستُ من صالح ثيابي ثم عَمَدتُ إلى رسول الله ﷺ فَلَقِيَني أخي، فقال:

ـ أَسْرِعْ فإن رسولَ الله ﷺ قد أُخْبِر بك فَسُرَّ بِقُدومِكَ، وهو ينتظركم.

فأَسْرَعْنا المشيَ، فاطَّلَعْتُ عليه، فما زال يتبسَّم إليّ حتى وقفتُ عليه، فسلمتُ عليه بالنُّبوة، فردَّ عليَّ السلام بوجهٍ طَلْقٍ.

فقلت: إني أَشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله.

فقال: «تعال».

ثم قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك، قد كنتُ أرى لكَ عقلاً رجوتُ أن لا يُسْلِمَكَ إلاّ إلى خير».

قلت: يا رسول الله إني قد رأيتُ ما كنتُ أَشهدُ من تلك المواطنِ عليك معانداً للحق، فادعُ الله أنْ يَغْفِرَها لي!.

فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ[1] ما كان قبله».

---

(١) يَهْدِم، كما جاء في رواية أخرى.

قلت: يا رسول الله على ذلك![1].

قال: «اللهم اغفِرْ لخالد بن الوليد كلَّ ما أَوْضَعَ[2] فيه من صدٍّ عن سبيل الله».

قال خالد: وتقدم عثمانُ ـ بن طلحة ـ وعَمْروُ ـ بن العاص ـ رضي الله عنهما فبايعا رسولَ الله ﷺ.[3]

---

(١) أي: ومع أن الإسلام يَهْدِم ما قبله فادْعُ الله لي بالمغفرة.

(٢) كلَّ عملٍ أسرع فيه يريد به إعراضَ الناس عن اعتناق الإسلام.

(٣) من «البداية والنهاية» لابن كثير ٤: ٢٣٩، ونحوه بشيء من الاختصار في «طبقات ابن سعد» ٧: ٣٩٤، وهو متمم للنقص الذي فيه ٤: ٢٥٢.

٢

مُجاهِدانِ من صغار الصحابة

قال عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه: بَيْنَا أنا واقِفٌ في الصفِّ يومَ بدرٍ، فنظرتُ عن يميني وشِمالي، فإذا أنا بغلامَيْن من الأنصار حديثةٍ أسنانُهما، تمنَّيْتُ أن أكونَ بين أَضْلَعَ منهما[١]، فَغَمَزني أحَدُهما، فقال:

ـ يا عمِّ هل تعرفُ أبا جهلٍ؟.

قلت: نعم، ما حاجتُك إليه يا ابنَ أخي؟.

قال: أُخْبِرتُ أنه يَسُبُّ رسولَ الله ﷺ،

(١) تمنَّى ـ أول ما رآهما ـ أن يكون بين رجلين أقوى منهما، لأنهما صغيران، لا يُظَن بهما قوةٌ ولا شجاعة.

والذي نفسي بيده لَئِنْ رأيتُه: لا يُفارِقُ سَوادي سَوادَه[1] حتى يموتَ الأعجلُ منا.

فتعجَّبَ لذلك! فغَمَزني الآخَرُ فقال لي مثلَها، فلم أَنْشَبْ[2] أنْ نظرتُ إلى أبي جهلٍ يَجُول في الناس.

قلت: أَلا إنَّ هذا صاحِبُكما الذي سألْتُماني.

فابْتَدَراه[3] بسيفَيْهما، فَضَرَباه حتى قَتَلاه، ثم انْصَرَفا إلى رسول الله ﷺ فأَخْبَراه فقال:

- «أَيُّكما قَتَلَه؟».

قال كلٌّ واحدٍ منهما: أنا قَتَلْتُه.

---

(١) سواد الرجل: شخصه. يريد: أنه لن يفارقَ أبا جهل حتى يَقتلَه، أو يقتله أبو جهل.

(٢) أي: لم أَلْبثْ في مكاني-مدة يسيرة من الزمن، إذْ رأيتُ أبا جهل.

(٣) أَسْرَعا إليه.

فقال: «هل مَسَحْتُما سَيْفَيْكُما»[1].

قالا: لا.

فنظر في السيفَيْن فقال: «كِلاكُما قَتَلَه[2]. سَلَبُه[3] لمعاذِ بنِ عَمرو بنِ الجَمُوحِ».

وكانا معاذَ بنَ عَفْراء، ومعاذَ بنَ عمروِ بنِ الجَمُوح[4].

---

(١) إنما سألهما ﷺ عن ذلك ليرَى ما بَلَغَ الدمُ من سيفَيْهما فيستدلّ به على عُمْق دخولهما في جِسم المقتول، فيحكمَ لمن كان سيفُه أعمقَ بأنه هو القاتل، ليحكم له بالسَّلب.

(٢) قال ﷺ ذلك - مع أن القاتل واحد - تطييباً لقلب الآخر.

(٣) السَّلبُ: ما يأخذه القاتلُ مما مع المقتول من سلاح وثياب ومركوب ونحو ذلك.

(٤) رواه البخاري: كتاب فَرْض الخُمُس، باب من لم يُخَمِّسِ الأسلابَ، ومن قتل قتيلاً... ٧: ٥٥.

٣

العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه

١ ـ قال يزيدُ بنُ الأصمِّ:

إن العباس عم رسول الله ﷺ كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر، فأُسِرَ فيمن أُسِرَ منهم، وكانوا قد شَدُّوا وَثاقه، فسهر النبيُّ ﷺ تلك الليلة، ولم يَنَمْ.

فقال له بعض أصحابه: ما أَسْهَرَكَ يا نبيَّ الله؟.

فقال: «أَسْهَرني أنينُ العباس»(١).

---

(١) في هذا عظيمُ حبِّ النبي ﷺ لعمه العباس واهتمامِه بشأنه.

فقام رجل من القوم فأرخى من وَثاقه.

فقال رسول الله ﷺ: «مالي لا أسمع أنين العباس؟».

فقال الرجل: أنا أرخيتُ من وَثاقه.

فقال رسول الله ﷺ: «فافْعلْ ذلك بالأسرى كلِّهم»[1].

٢ ـ وكان الذي أَسَرَ العباسَ أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو، وكان قصيراً دميماً، وكان العباس رضي الله عنه عظيمَ الخَلْق، طويلَ القامة، من مُقَبِّلي الظُّعُن. يعني أنه كان يُدرك فَمَ الظَّعينة[2] وهي راكبةٌ على البعير وهو على قدميه في الأرض.

وفي «مسند البزار»: قيل للعباس رضي الله عنه: كيف أَسَرَكَ أبو اليَسَر ولو أَخَذْتَه بكفِّك

---

(١) هذا مشهد عظيم من مشاهد عَدْل النبي ﷺ.

(٢) هي: المرأة ما دامت في الهَوْدَج.

لَـوَسِعَتْه؟! فقـال: ما هـو إلا أنْ لقيتُه فـظهر في عيني كالخَنْدَمَة. والخَنْدَمَةُ: جبل بمكة.

وذكـر أبـو عـمـر ـ ابن عـبـد البـر ـ: أن رسول الله ﷺ قال لأبي اليَسَر: «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم».

٣ ـ وقـال ابن عبـد البـر: رَوَى ابنُ عباسٍ وأنسُ بنُ مالكٍ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه كـان إذا قَحِطَ أهـلُ المـدينـة استسقَى بالعباس.

وسبب ذلـك، أن الأرض أجْـدَبَتْ إجـدابـاً شديداً على عهد عمر زمن الرَّمَادة[1] وذلـك سنة سَبْعَ عَشْرَة، فقـال كعب ـ الأحبـار ـ: يـا أميـر المؤمنين إنَّ بني إسرائيل كانوا إذا أصـابهم مِثْلُ

(١) في «القـامـوس»: رَمَـدت الغنم تـرْمِـدُ: هلكت من بَـرْد أو صقيع، ومنه عام الرمادة في أيام عمـر رضي الله عنه، هلكت فيه الناس والأموال.

هذا استسقَوْا بعَصَبة الأنبياء[1]، فقال عمر: هذا عمُّ رسـول الله ﷺ وصِنْـوُ أبيــه[2]، وسيـدُ بني هاشم، فمشى إليه عمر وشكا إليه ما فيـه الناسُ من القَحْط.

ثم قال: ورُوِّينا من وجوه، عن عمر أنه خرج يستسقي وخـرج معه بـالعباس فقـال: اللهم إنـا نتَقَــرَّبُ إليـك بعمِّ نبيِّــك ﷺ ونستشفـعُ بــه، فاحفظْ فيه[3] لنبيـك ﷺ، كما حفـظتَ الغلامَيْن لصــلاحِ أبيهمــا[4]، وأتَـيْنــاك مـستـغفِــريـن ومستشفِعين، ثم أقبل على الناس...

---

(١) العَصَبة: من يَرِثُ الميت وليس بوالد له ولا ولد.

(٢) الصِّنْو هنا: الأخ الشقيق.

(٣) الحفظ هنا: الرعاية، وتكون هنا باستجابة دعائه.

(٤) يشيـر إلى الآية الكـريمة في سـورة الكهف: ﴿وأمـا الجـدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنـزٌ لهما وكـان أبوهما صالحاً..﴾.

ثم قـام العبـاس وعينـاه تَنْضَحَـان[1]، فـطالَ عُمَرَ[2]، ثم قال:

«اللهم أنتَ الـراعي لا تُهْمِلُ[3] الضـالَّة، ولا تَدَعُ [3] الكسير بدار مَضْيَعَة، فقد ضَرَع الصغير، ورقَّ الكبيـر، وارتفعت الشكـوى، وأنت تعلم السرَّ وأخفى.

---

(١) تنضحان: تفوران بالدمع.

(٢) فـطال عمر: أي ظهـر طولـه على طول عمـر. وفي المصدر المنقول عنه: فطالع عمـر، والتصويب من «طبقـات» السبكي ٢: ٣٣٠.

(٣) إعـراب «لا تهمـلُ ولا تـدعُ» بـالـرفـع أولـى من جعـل «لا» دعائية ومـا بعدهـا مجزوم بهـا، ففيها نسبـة الإهمال إلى الله تعـالى حينئذ، وعلى إعـرابهمـا بـالـرفـع يكـون المعنى ثنـاءً على الله تعالى، كأنـه قال: اللهم أنت الـراعي، ومن شأنـك أنك لا تُهملُ الضالةَ ولا تَدَعُ الكسير، ثم أعقبه بالشكوى إليه تعـالى ببيان الحـال والـواقـع: فقـد ضَـرَع الصغيـر ـ أي ذَلَّ وخضع ـ ورقَّ الكبير، أي ضَعُف.

اللهم فأَغِثْهم بغِيَاثك من قبلِ أن يَقْنَطوا، فَيَهْلِكوا، فإنه لا يَيْأَسُ من رَوْحك [١] إلا القوم الكافرون . . .

فوالله ما بَرِحوا[٢] حتى اعتلقوا الجُدُر[٣] ، وقَلَّصوا المآزر[٤]، وطَفِق الناسُ [٥] بالعباس يمسحون أركانه [٦] ، ويقولون: هنيئاً ساقيَ الحرمين.

---

(١) من رحمتك وفَرَجك.

(٢) ما زالوا عن مكانهم وما غادروه.

(٣) يريد: لزموا السير إلى جانب الجدران ولصقوا بها من شدة محاذاتهم لها.

(٤) رفعوا مآزرهم كيلا تصاب بالطين. وعند السبكي: اعتلقوا الحذاء، أي حملوا أحذيتهم وعلَّقوها على أكتافهم.

(٥) طَفِق بالشيء: أي صار يفعله كثيراً لا يفتر عنه.

(٦) أركانه: أطرافه، وله وجه من حيث المعنى، وعند السبكي في «الطبقات»: أردانه، جمع رُدْن، وهو أصل الكُمِّ.

من سيرة السلف الصالح

١

عمر بن عبد العزيز
خليفة متكامل الشخصية

قَدِمت امرأةٌ من العراق على عهدِ عمرَ بنِ عبد العزيز، فلما صارتْ إلى بابه قالتْ:

ـ هل على أميرِ المؤمنينَ حاجِبٌ؟.

فقالوا: لا، فَلِجِي[1] إنْ أَحببتِ.

فدخلتِ المرأةُ على فاطمةَ ـ زوجةِ عمرَ ـ وهي جالسة في بيتها، وفي يدها قُطنٌ تُعالِجه[2]، فسلَّمتْ فردَّتْ عليها السلامَ وقالتْ لها: ادْخُلي.

---

(١) فعل أمر من: وَلَجَ، أي: ادخُلي.

(٢) تعالجه: تصلحه وتعمل به.

فلما جلستِ المرأةُ رَفَعتْ بصرَها فلم تَـرَ في البيتِ شيئاً له بالٌ[1]، فقالتْ: إنمـا جئتُ لأَعْمُرَ بيتي من هذا البيتِ الخرابِ؟!.

فقـالتْ لها فـاطمةُ: إنمـا خَـرَّب هـذا البيتَ عِمارةُ بيوت أمثالِكِ!.

فأقبلَ عمرُ حتى دخل الدارَ، فمال إلى بئرٍ[2] في نـاحيةِ الـدارِ، فانتـزع منها دِلاءً صبَّهـا على طينٍ كان بحضرةِ البيت[3] ـ وهو يُكثِرُ النـظر إلى فاطمةَ.

فقالت لها المـرأة: استَتِري من هـذا الطَّيَّانِ، فإني أراه يُدِيمُ النظرَ إليكِ!.

فقالت: ليس هو بطَيَّانٍ، هو أميرُ المؤمنين!.

---

(١) له بال: له أهمية.

(٢) مال إليه: توجَّه إليه وقَصَده.

(٣) أمام البيت.

ثم أقبل عمرُ، فسلَّم ودَخَل بيتَه، فمالَ إلى مُصَلَّىً كان له في البيت يُصلِّي فيه، فسأل فاطمةَ عن المرأة؟ فقالت: هي هذه.

فأخذَ مِكْتَلاً[1] له فيه شيءٌ من عِنَب، فجعل يَتَخَيَّر لها خيرَه يُناولُها إياه، ثم أقبل عليها فقال:

ـ ما حاجتُكِ؟.

فقالتْ: امرأةٌ من أهل العراق، لي خمسُ بناتٍ كُسُلٌ كُسُدٌ[2]، فجئتكَ أَبتغي حُسْنَ نَظَرِكَ لهنَّ.

فجعل يقول: كُسُلٌ كُسُدٌ، ويبكي. فأخذ الدَّواةَ والقِرْطاسَ وكتب إلى والي العراق فقال ـ للمرأة ـ:

---

(١) زِنْبيلاً.

(٢) جمع، مفردهما: كسول، كسود ـ لا يُرغَب في الزواج منها ـ.

سَمِّي كُبْراهُنَّ، فسَمَّتْها، فَفَرَضَ لها[1]، فقالت المرأة: الحمد لله، ثم سأل عن اسمِ الثانيةِ والثالثةِ والرابعةِ، والمرأةُ تَحْمَدُ الله، ففَرَضَ لها، فلما فَرَض للأربع اسْتَفَزَّها الفَرحُ فدعتْ له فَجَزَّته[2]، فرفع يده[3] وقال:

ـ قد كُنَّا نَفْرِضُ لهنَّ حِين كنتِ تُوْلِيْنَ[4] الحمدَ أهلَه، فَمُرِي هؤلاء، الأربعَ يُفِضْنَ[5] على هذه الخامسة.

---

(١) أي: جعل لها قَدْراً معلوماً من المال في بيت مال المسلمين.

(٢) أي: قالت له: جزاك الله خيراً.

(٣) أي: أمسك عن الكتابة.

(٤) تُولين: تُعْطِين. يريد: تَنْسُبِين الفَضْلَ إلى الله تعالى فَتَحْمَدِينَه عليه، لأنه تعالى صاحبُ الفضل والمنَّةِ على عباده.

(٥) يعطين. من: أفاض عليه، إذا أعطاه.

فخـرجتْ بـالكتـاب حتى أَتَتْ بـه العــراق، فـدفعتْـه إلى والي العــراق، فلمـا دفعتْ إليــه الكتابَ بكى واشتدَّ بكاؤه، وقال:

ـ رَحِم الله صاحبَ هذا الكتابِ!.

فقالت: أماتَ؟.

قال: نعم. فصاحتْ ووَلْوَلَتْ.

فقال: لا بأس عليكِ، ما كنتُ لأردَّ كتابَه في شيء.

فقضى حاجتَها وفَرَضَ لبناتها[1].

---

(١) من «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم ص: ١٧٧. وقـد قـال الإمـام النـووي رحمــه الله في «تهـذيب الأسمــاء واللغات» ٢: ١٧ في حقِّ هذا الكتاب: «فيـه من النفائس ما لا يُسْتَغْنَى عن معرفته والتأدُّب به».

من سيرة السلف الصالح

٢

الإخلاص

قال عَبْدَةُ بنُ سليمانَ المَرْوَزي:

كُنَّا مع عبـدِ الله بنِ المباركِ في بـلاد الروم، فصادَفْنا العدوَّ، فلما التقى الصفَّـانِ خَرَجَ رجـلٌ من العدوِّ، فدعا إلى البِرَازِ[1] فخرج إليه رجـلٌ، فقتله، ثم آخرُ، فقتله.

ثم دعـا إلى البِـراز فخـرج إليـه ـ رجــلٌ من المسلمين ـ فطارده ساعةً فطَعَنَـه فقتله. فازدحَمَ إليـه الناسُ، فكنتُ فيمن ازدحم إليـه، فإذا هـو

(١) البراز: المبارزة.

يُلَثِّمُ[1] وجهَه بِكُمِّه، فأخذتُ بطرفِ كُمِّه فمددته[2]، فإذا هو عبدُ الله بنُ المبارك، فقال:

ـ وأنتَ يا أبا عمروٍ ممن يُشَنِّعُ علينا[3]!![4].

(١) يغطي أسفلَ وجهه: الفَمَ وما دونه.

(٢) شددته وأزلتُ اللِّثام عنه.

(٣) أي: يشهِّر به ويكشِفُ أمره.

(٤) من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ١٠: ١٦٧.

من سيرة السلف الصالح

٣

فضل الصدقة

١ ـ سأل رجلٌ الإمام أبا عبدالرحمن عبدَالله بنَ المبارك فقال له:

ـ يا أبا عبد الرحمن قَرْحَة خَرَجَتْ في ركبتي منذ سبعِ سنين، وقد عالجتُ بأنواعِ العلاجِ، وسألتُ الأطباءَ فلم أنتفعْ به؟!.

فقال ـ له ابن المبارك ـ: اذهبْ فانْظُرْ موضعاً يحتاجُ الناسُ الماءَ، فاحفِرْ هناك بئراً، فإني أرجو أن تَنْبَعَ هناك عينٌ، ويُمْسِكَ عنك الدمُ.

ففعل الرجُل فَبَرَأَ.

٢ ـ قال البيهقي: وفي هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكمِ أبي عبد الله رحمه الله.

فإنه قَرِح وجهُه[١] وعالَجَه بأنواع المعالجة، فلم يذهبْ، وبقي فيه قريباً من سَنَة، فسأل الأستاذَ الإمامَ أبا عثمانَ الصابونيَّ أن يدعوَ له في مجلسه يوم الجمعة، فدعا له وأكثر الناسُ التأمين.

فلما كان يومُ الجمعة الأخرى أَلْقَتِ امرأةٌ في المجلس رُقْعةً: بأنها عادت إلى بيتها، واجتهدتْ في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلةَ، فرأت في منامها رسولَ الله ﷺ كأنه يقول لها: قُولي لأبي عبد الله يوسِّعُ الماءَ على المسلمين.

(١) ظهرت عليه قروح (كالدمامل والخُرَاج).

فجيء بالرُّقْعة إلى الحاكم، فأمر بسِقايةٍ[1] بُنيتْ على باب داره، وحين فَرَغوا من بنائها أمر بصبِّ الماء فيها وطَرْحِ الجَمْدِ[2] في الماء، وأَخَذَ الناسُ في الشُّرْب، فما مرَّ عليه أسبوع حتى ظَهَر الشِّفاء، وزالت تلك القُروح، وعاد وجهُه إلى أحسنِ ما كان، وعاش بعد ذلك سنين[3].

---

(١) هو كالذي يعرف في زماننا بـ (السبيل).

(٢) هو الثلج. ويسمى في أيامنا أيضاً بالجليد، يوضع مع الماء ليبرد.

(٣) الخبران من «الترغيب والترهيب» ٢ : ٧٤ للإمام المنذري رحمه الله.

من سيرة السلف الصالح

٤

الصبر

قَدِمَ عُروةُ بن الزُّبَير ـ من المدينة إلى دمشق ـ على الوليد بنِ عبد الملك، ومعه ولدُه محمدُ بنُ عروة، فدخل محمدٌ دارَ الدوابِّ، فضربَتْه دابَّةٌ، فَخَرَّ مَيْتاً[1].

ووقعتْ في رِجْل عروةَ الأَكِلَة، ولم يَدَعْ

---

(١) فلما أُخبر عروة بوفاته أَنشَد.

وكنتُ إذا ما الدهرُ أحدثَ نَكْبةً أقول: سوىً، ما لم يُصِبْنَ صَمِيمي

وقوله: «سوىً»: أي: سواء، يريد: كلُّ الحادثات مثلُ بعضها، إلا الحادثةَ التي تُصيب صميم القلب وتنزل به ـ كهذه النكبة ـ فهي التي لا تُطاق ولا يُصْطَبر لها.

وِرْدَه تلك الليلة ـ وهو قراءةُ رُبُعِ القرآنِ الكريم[1] ـ فقال له الوليد:

اِقْطَعْها . . . وإلّا أفسدتْ عليك جَسَدَك.

فلما دُعِيَ الجَزَّار لِيقطعَها قالوا له:

ـ نَسْقيك الخمرَ حتى لا تَجِدَ لها ألماً!.

فقال: لا أَستعينُ بحرامِ الله على ما أرجو من عافية!.

قالوا: فنسقِيكَ المُرْقِدَ[2]!.

قال: ما أُحِبُّ أن أُسْلَبَ عضواً من أعضائي وأنا لا أجدُ ألَمَ ذلك فأَحْتَسِبَه!.

ودخلَ عليه قومٌ أَنْكَرَهُمْ قال:

ـ ما هؤلاءِ؟.

---

(١) هذه رواية، وفي رواية أخرى أنه ما تركه إلا هذه الليلة.

(٢) المنوِّم المخدِّر (البنج).

قالوا: يُمْسِكُونَكَ، فإنَّ الألَمَ ربما عَزَبَ[1] معه الصبر.

قال: أرجو أنْ أكْفِيَكُم ذلك من نفسي.

فقُطِعَتْ كعبُه بالسكين حتى إذا بلغ العظمَ وُضِع عليها المِنْشارُ فقُطِعَتْ وهو يُهَلِّلُ ويُكَبِّر!!.

ثم إنه أُغْليَ له الزيتُ في مغارف الحديد، فحُسِم به[2] فغُشيَ عليه، فأفاق وهو يَمسحُ العَرَق عن وجهه ويقول: «لقدْ لَقِيْنا من سَفَرنا هذا نَصَباً».

ولما رأى القدمَ بأيديهم دعا بها فقَلَّبَها في يده ثم قال: أما والذي حملني عليكِ إنه لَيَعلمُ

---

(١) غاب وبَعُدَ.

(٢) مُنِع سيلانُ الدمِ من موضع القطع.

أنـي مـا مشيتُ بـكِ إلى حـرام ـ أو قـال: معصية ـ!.

* * *

وقـدم ـ الشـامَ ـ تلك السنـةَ قـومٌ من بني عَبْس، فيهم رجلٌ ضرير، فسأله الوليدُ عن عينيه؟ فقال:

يا أميرَ المؤمنين بِتُّ ليلةً في بطن وادٍ، ولا أعلم عَبْسيّاً يزيدُ مالُه على مالي، فطَرَقَنا سيلٌ[1]، فذهبَ بما كان لي من أهلٍ وولدٍ ومالٍ، غيرَ بعيرٍ[2] وصبيٍّ مولودٍ، وكان البعيرُ صَعْباً، فَنَدَّ[3] فوضعتُ الصبيَّ واتَّبَعتُ البعيرَ، فلم أجاوزْ إلاّ قليلاً حتى سمعتُ صَيْحة ابني ورأسُه في فمِ الذِّئبِ وهو يأكلُه!.

---

(١) نزل بنا سيلٌ من المطر شديدٌ.

(٢) جَمَل.

(٣) شَردَ بعيداً.

فلحقتُ البعيرَ لأَحبِسَه، فنَفَحَني[1] بـرِجْله على وجهي فحطَّمه وذَهَبَ بِعينيَّ!. فأصبحتُ لا مالَ لي ولا أهلَ ولا ولدَ ولا بصرَ!!.

فقال الوليد: انْطَلِقوا به إلى عروةَ لِيَعلمَ أنَّ في الناس مَنْ هو أعظمُ منه بلاءً!!.

ولما رجع عروةُ إلى المدينةِ قال: اللهم إنه كان لي أطرافٌ أربعةٌ، فأخذتَ واحداً وأبقيتَ لي ثلاثة، فلك الحمدُ، وآيْمُ الله لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتليتَ لطالما عافيتَ[2].

وكان أحسنَ من عَزَّاه[3] إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طلحةَ[4]، قال له:

---

(١) ضربني.

(٢) كثيراً ما عافيت.

(٣) عزَّاه: صبَّره. أي: أمره بالصبر وحضَّه عليه وسلَّاه عن مصيبته.

(٤) هكذا ورد اسمه في ابن خلكان، وفي «الحلية» ٨: ١٧٩: عيسى بن محمد بن طلحة.

والله مـا بكَ حـاجةٌ إلى المشي ولا أَرَبٌ في السَّعْي، وقد تقدَّمكَ عضوٌ من أعضـائك، وابنٌ من أبنـائك إلى الجنـة، والكلُّ تَبَـعٌ للبعضِ إنْ شـاء الله تعالى، وقـد أبقى اللهُ لنا منـك ما كنّـا فقراءَ إليه، وعنه غيرَ أغنياء: من علمِك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله وليٌّ ثوابِك والضَّمينُ بحسابك.

وعاش بعد قَطْع رجله ثماني سنين[1].

---

(١) من «وَفَيَات الأعيان» لابن خَلِّكان ٣: ٢٥٦ ـ ٢٥٧، مجموعاً من رواية المبرَّد وابن قتيبة.

١

وصيةُ لقمانَ لابنه

قال لقمانُ لابنه:

يا بنيَّ! لا تَتَعَلَّمِ العلمَ لتُباهيَ به العلماءَ، وتُباريَ به السُّفهاءَ[1]، وتُمارِيَ[2] به في المجالس. ولا تتركِ العلمَ زَهادَةً فيه، ورغبةً في الجَهالة.

إذا رأيتَ قوماً يذكرون الله فاجلِسْ معهم،

---

(١) تُباري: من المباراة، وهي المسابقة. والسفهاء: جمع سفيه، وهو الجاهل، والمراد هنا: لا تسابق بعلمك الجهلاءَ في عَمَلهم وخُلُقهم، وليس المرادُ الجهلاءَ في عِلْمهم، أي: الذين لا يعلمون، إذْ لا يُتَصَوَّرُ مسابقةُ العالِم لهم.

(٢) تماري: تجادل.

فإنْ تكُ عالماً ينفعْكَ عِلمُك، وإنْ تَكُ جاهلاً يزيدوك علماً، ولعلَّ الله أن يَطَّلِعَ إليهم برحمةٍ فيصيبَك بها معهم[1].

وإذا رأيتَ قوماً لا يَذكرونَ الله فلا تَجلِسْ معهم، فإنْ تَكُ عالماً يَنفعْك علمُك، وإنْ تَكُ جاهلاً يَزيدوكَ جَهْلاً، ولعل الله يَطَّلِعُ إليهم بسَخْطَةٍ فيصيبَك بها معهم[2].

---

(١) كما أخبر ﷺ في آخر الحديث المتفق عليه، عن الملائكة السيَّارة، أن الله تعالى يقول لهم: «هُمُ القومُ لا يَشْقَى بهم جليسهم».

(٢) من «كتاب الزُّهد والرَّقائق» للإمام عبد الله بن المبارك ص: ٣٣٨.

٢

وصيةُ محمدِ بنِ سَمُرَةَ بالمُبَادَرةِ إلى العمل الصالح

قال يوسفُ بنُ أَسباطٍ: كتب إليَّ محمدُ بنُ سَمُرَةَ السائحُ بهذه الرسالة:

أَيْ أخي!.

إياكَ وتأميرَ التَّسْويفِ على نفسك[١]، وإمكانَه مِن قلبِك[٢]، فإنه محلُّ الكَلال[٣]، ومَوْئِلُ

(١) التسويف: تأخير الوفاء بالوعد على أمل الوفاء به. والمراد: لا تجعل التسويفَ خُلُقاً لكَ حاكِماً عليك، كما يحكم الأمير على المأمور.

(٢) أي جَعْلَه خُلُقاً متمكِّناً فيك.

(٣) أي: فإن التسويف محل الكلال، وهو الإعياءُ والتعب. يريد: أن تسويف الأمور شأن الإنسان المُتْعَب.

التَّلَفِ[1]، وبه تُقْطَعُ الآمالُ، وفيه تَنْقَطِعُ الآجالُ، فإنك إنْ فعلتَ ذلك أَدَلْتُه[2] من عزمك وهواك عليه فَعَلا، واسترجِعَنَّ مِنْ بدنِكَ من السآمة ما قد ولَّى عنك، فعند مراجعتِهِ إياكَ لا تنتفعُ نفسُك من بدنِك بنافعة.

وبادِرْ يا أخي! فإنكَ مبادَرٌ بك[3]، وأَسْرِعْ فإنك مُسْرَعٌ بك، وجِدَّ فإن الأمرَ جِدٌّ[4]، وتَيَقَّظْ

---

(١) أي: مرجعُ ومصيرُ الهلاكِ.

(٢) أداله: من الإدالة، وهي الغَلَبة. يريد: أنك إنْ سوَّفت فقد جعلتَ للتسويف والتأخير دولة وسلطاناً على عزمك، فغلبك وعلاك.

(٣) أي: أَسْرِعْ إلى العمل والطاعة واستدراكِ عُمُرِك، فإنه مُسْرَعٌ بك، وأجلُكَ إلى نهاية.

(٤) جِدَّ: أي: اجتهدْ في الطاعات، فإن الأمر: يريد بالأمر هنا زوال الدنيا وانقطاعها بالموت، وإقبال الآخرة والوقوف للحساب والميزان. . .، إن هذا الأمر جدٌّ: أي: حقيقة كائنة ولا بدَّ. فلذا عليك بالاجتهاد للنجاح في هذه المواقف.

مِنْ رَقْدَتِكَ، وانْتَبِهْ من غَفْلتك، وتذكَّرْ ما أسلفتَ وقصَّـرتَ، وفرطتَ وجنيت وعَمِلت، فـإنه مُثْبَتٌ مُحْصىً[1]، فكـأنـك بـالأمـر قَـدْ بَغَتَـك[2]، فـاغْتَبَـطتَ بمـا قـدمتَ، أو نـدِمتَ على مـا فَرَّطتَ[3].

---

(١) أي: مكتوب مجموع عليك.

(٢) نزل بك بَغْتةً وفَجْأةً.

(٣) من «اقتضاء العلمِ العملَ» للخطيب البغدادي آخر خبر فيه.

٣

مِن آدابِ المُجالَسة

قال سيدُنا العباسُ بنُ عبدِ المطَّلبِ لابنه عبدِ الله رضي الله عنهما:

إني أَرى هذا الرجلَ - يعني عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه - يُقَدِّمُكَ على الأشياخ، فاحفظْ عني خمساً:

- لا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً.
- ولا تَغْتَابَنَّ عنده أحداً.
- ولا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِباً.
- ولا تَعْصِيَنَّ له أمراً.
- ولا يَطَّلِعَنَّ منك على خِيانة.

قـال الشَّعْبيُّ: كـلُّ كلمـة من هـذه الخمسِ خيرٌ من ألفـ[1].

---

(١) من «إحياء علومِ الدين» لـلإمام الغـزالي كتاب آداب الإلفـة والأُخُوَّة والصحبة: الحق الثالث ٢: ١٥٨.

٤

مَنْ تُخْتَار صُحْبَتُه

أَوصى عَلْقَمةُ العُطَارِديُّ ابنَه ـ وقد حَضَرَتْه الوفاة ـ فقال:

يا بُنيَّ إذا عَرَضَتْ لك إلى صحبةِ الرجالِ حاجةٌ:

ـ فاصحبْ مَن إذا خَدَمْتَه صانَك، وإن صَحِبْتَه زانَك، وإنْ قَعَدَتْ بك مُؤْنَةٌ مانَك[١].

ـ اصحبْ مَن إذا مَدَدْتَ يَدَكَ بخيرٍ مدَّها، وإنْ رأى منك حسنةً عدَّها، وإنْ رأى سيئةً سَدَّها.

---

(١) أي: إنْ نزلتْ بك حاجةٌ قام بكِفايتِك فيها.

ـ اصحبْ مَن إذا سألتَه أعطاك، وإنْ سكتَّ ابتداك[1]، وإن نَزَلتْ بك نازلةٌ واساكَ.

ـ اصحبْ مَن إذا قلتَ صدَّقَ قولَك، وإنْ حاولتَ أمراً آزرك، وإنْ تنازعتُما آثرك.

قال يحيى بن أكثم: قال المأمون: فأينَ هذا؟!.

فقيل له: أتدري لمَ أوصاه بذلك؟.

قال: لا.

قال: لأنه أراد أن لا يصحبَ أحداً[2].

---

(١) أي: ابتدأك، وسهَّل الهمزة لمناسبة: أعطاك، واساك.

(٢) يريد: أن هذه الشروط لا تتوفَّر في إنسان ليصاحَب، فكأنه يقول له: لا تصحبْ أحداً أبداً.

والنقل من «إحياء علومِ الدِّين» للإمام الغزالي كتاب آداب الإلفة والأُخُوَّة والصحبة: بيان الصفات المشروطة فيمن تُخْتار صحبته. ٢ : ١٥١.

من أخبار العلم والعلماء

١

المبادرة إلى العمل بالعلم

قال أبو عَمرٍو محمدُ بنُ أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ محمد بن حَمْدانَ النَّيْسابوريُّ:

خرجتُ ليلةً من الليالي إلى مسجد أبي عثمانَ سعيدِ بن إسماعيل الحِيْريِّ ـ وكان أبو عثمان إمامَ المسجد، ومن كبار الصالحين ـ فخرج علينا ـ أبو عثمان ـ لصلاة العشاء الآخِرة[1]، وعليه إزارٌ ورداءٌ، فصلَّى بنا، ثم

---

(١) العشاء الآخرة: هي صلاة العشاء التي نعهدها الآن، والآخرة: معناها: الثانية. والعشاء الأولى: هي صلاة المغرب.

دخـل داره. ورجعتُ مع أبي إلى البيت، فقلت لأبي: يا أبةِ، أبو عثمان قد أحرم؟.

فقال: لا، ولكنه هـو ذا يَسْمع مني «المسنـد الصحيـح» الذي خـرَّجتُه على كتـاب مسلم[1]، فإذا سمع بسُنَّة لم يكن استعملها[2] فيما مضى، أحبَّ أن يستعملهـا في يومـه وليلته؛ وإنـه سمع في جُملِة مـا قُـرِىء عليَّ: أن النبي ﷺ صلَّى في إزار ورداء، فـأحبَّ أن يَستعمـلَ تلك السنَّـةَ قبل أن يُصبح[3].

---

(١) يريد: صحيح مسلم. ولأبي جعفر هذا كتابٌ مستخـرجٌ على صحيح مسلم مشهورٌ.

(٢) استعملها: أي: عمل بها.

(٣) الخبر من كتاب «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ١: ١٤٥ للخطيب.

٢

مقامُ العلمِ عند الوزراء

قال ابنُ فارسٍ الإمامُ اللغويُّ الشهيرُ:

سمعتُ الأُستاذَ ابنَ العميدِ يقول: ما كنتُ أظنُّ في الدنيا كحَلاوةِ الوِزارة والرِّئاسة التي أنا فيها، حتى شاهدتُ مذاكرةَ الطَّبَرانيِّ وأبي بكرٍ الجِعَابِيِّ بحَضْرتي[1]، وكان الطبرانيُّ يَغلِبُه بكثرة حِفظِه، وكان أبو بكرٍ يَغلِبه بفِطْنته، حتى ارتفعتْ أصواتُهما، إلى أنْ قال الجِعابيُّ:

ـ عندي حديثٌ ليس في الدنيا إلّا عندي!.

فقال الطبرانيُّ: هاتِ.

---

(١) أي: بحضوري وفي مجلسي.

قال الجِعابِيُّ: أخبرنا أبو خليفةَ[1]، أخبرنا سليمانُ بنُ أيوبَ ـ وحدَّث بحديث ـ.

فقال الطبرانيُّ: أنا سليمانُ بنُ أيوبَ، ومني سَمِعه أبو خليفةَ، فاسمعْه مني عالياً[2]. فخَجِلَ الجِعابي.

فَوَدِدْتُ أن الوِزارةَ لم تكنْ، وكنتُ أنا الطبرانيَّ، وفرحتُ كَفَرحه[3].

---

(١) هو الفضل بن الحُبَاب الجُمَحي البصري، المتوفَّى سنة ٣٠٥، وهو شيخٌ للطبراني والجِعابي معاً، لكنه سمع حديثاً من تلميذه الطبراني، فرواه للجعابي، فأراد الجِعابي أن يتعالى على الطبراني به، فوقع، فرواية أبي خليفة عن الطبراني من رواية «الأكابر عن الأصاغر» في اصطلاح المحدثين.

(٢) أي: بإسناد عالٍ، وهذه كلمة اصطلاحية عند المحدثين، والإسناد العالي عندهم: ما كان فيه عدد رجال الإسناد قليلاً من راويه إلى النبي ﷺ.

(٣) من «تَذْكِرة الحُفَّاظ» للذهبي ص: ٩١٥.

٣

مقامُ العلماءِ عند الخلفاء

قال يحيى بنُ أَكْثَمَ:

قال ليَ الرشيدُ: ما أَنْبَلُ المراتبِ؟.

قلت: ما أنتَ فيه يا أمير المؤمنين.

قال: فتَعْرِفُ أجلَّ مني؟.

قلت: لا.

قال: لكني أَعرفُه. رجلٌ في حَلْقة يقول: حدثنا فلانٌ، عن فلانٍ، قال قال رسول الله ﷺ.

قلت: يا أميرَ المؤمنين هذا خيرٌ منك وأنتَ ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ ووليُّ عهدِ المسلمين؟!.

قال: نعم، وَيْلك! هذا خيرٌ مني، لأن اسمَه مقترِنٌ باسمِ رسولِ الله ﷺ لا يموتُ أبداً، نحن نموتُ ونَفْنَى، والعلماءُ باقونَ ما بَقِيَ الدهر[1].

(١) من «آداب الإملاء والاستملاء» للحافظ السَّمْعاني ص: ٢٠.

٤

جُنْدُ اللَّيْلِ

كـان نِـظَامُ المُلْكِ أبـو علي الحسنُ بنُ عليٍّ الـطُّوْسِـيُّ وزيـراً لـلسـلطان أَلْـبْ أَرْسْـلانَ السَّلْجُوقيِّ، ثم صار من بعـده وزيراً لـولده أبي الفُتوح مَلِك شاه.

وكان نِظامُ المُلك عـالماً بـالحديث والفقـه، ومُكْـرِماً للعلمـاء غـايـةَ الإكـرام. «فلم يكنْ من أوائـل الشـام - من بيت المقـدس - إلى سـائـرِ الشامِ الأعلى ودِيارِ بَكْـرٍ والعِراقَيْن[1] وخُـراسانَ

---

(١) البصرة والكوفة.

بأقطارها[1]، إلى سَمَرْقندَ من وراء نهر جَيْحُونَ، مسيرةَ مائةِ يومٍ: حاملُ عِلمٍ، أو طالبُه، أو متعبِّدٌ أو زاهد في زاويته إلّا وكرامتُه شاملةٌ له وسابِغةٌ عليه.

وكان الذي يُخْرَجُ من بيوت أمواله في هذه الأبواب ستَّمائةِ ألفِ دِينارٍ في كل سنة»!.

ومرة قال أبو الفتوح ملك شاه لوزيره نظام الملك:

«يا أبتِ[2] بَلَغني أنك تُخرِج من بيوت الأموال كلَّ سنة ستَّمائةِ ألفِ دينارٍ إلى مَن لا يَنفعُنا ولا يُغني عنا؟!.

---

(1) خراسان تطلق على مدن كثيرة، أعظمها: مرو، ونَيْسابور، وبَلْخ، وهَرَاة.

(2) كان أبو الفتوح يخاطب وزيره نظام الملك بهذا اللقب تكريماً لكبر سنّه، ولتفاني نظام الملك في المحافظة على الدولة ولحفظه وِدَّ أبيه ألب أرسلان.

فبكى نظامُ المُلْك وقال له:

يا بُنيَّ أنا شيـخٌ أعجميٌّ لو نُـوديَ عليَّ فيمن يَـزيـد لم أحفظ خمسـةَ دنـانيـر[1]! وأنت غـلامٌ تركيٌّ لو نُوديَ عليك عساك تحفظ ثلاثين ديناراً! وأنتَ مشتغِـلٌ بلذّاتـك مُنْهَمِـكٌ في شَهَـواتـك، وأكثـر ما يَصْعَـد إلى الله تعـالى معـاصِيـكَ دونَ طاعتِك.

وجيوشُك الذين تُعِدُّهم للنوائب إذا احتَشَدوا كافحوا عنـك بسيفٍ طولُـه ذراعان، وقـوسٍ لا ينتهي مَـرْمـاه ثـلاثَمـائـةِ ذراع، وهـم مـع ذلــك مُستغـرِقون في المعـاصي والخُمور، والمـلاهي والنُّدَماء والطُّنْبور!.

وأنا أقمتُ لك جيشاً يُسمى «جيش الليل» إذا نـامَتْ جيوشُك ليـلاً قـامتْ جيـوشُ الليـل على

---

(١) يريد: لا يساوي ثمنه خمسة دنانير.

أقـدامهم صُفـوفـاً بين يـديْ ربِّـهم، فـأَرْسَلوا دُموعَهم، وأطلقوا بـالدعـاء ألسنتَهم، ومَدُّوا إلى الله أكفَّهم بالدعاء لك ولجيوشك.

فـأنت وجيوشُـك في خِفـارَتِهم[1] تَعيشـون، وبدعائهم تَبيتون، وببركاتهم تُمْطَرون وتُرْزَقون، تَمْـرُقُ سِهامُهم إلى السمـاء السـابعـة بـالـدعـاء والتضرُّع!.

فبكى أبو الفتوح بكاءً شديداً ثم قال:

شـابـاش يا أبتِ شـابـاش[2]. أَكْثِـرْ من هـذا الجيش»[3].

(١) أي: حمايتهم، ومنه: المخفر، لأنه مكان الحفظ والحماية.

(٢) كلمة فارسية معناها: أحسنت.

(٣) من «سراج الملوك» لأبي بكر الطُّرْطُوشي.

١

القاضي بكارُ بنُ قُتَيبةَ الثَّقَفي

قال أبو حاتِمٍ ابنُ أخي بكارِ بنِ قُتَيبة: قَدِم على عمي رجلٌ من البصرة له علمٌ وزَهادةٌ ونُسْكٌ، فأَكْرَمه وقرَّبَه وأَدْناه، وذَكَر أنه كان معه في المكتب.

ومضتْ به الأيام، فجاء في شهادة ومعه شاهدانِ من شهود مصر، فما قَبِل عمي شهادتَه.

فقلتُ لعمي: هذا رجلٌ زاهدٌ وأنتَ تعرفُه!!.

قال: يا ابنَ أخي ما رَدَدْتُ شهادتَه إلاّ أنا كنّا

صِغـاراً وكنّا على مـائدةٍ عليهـا أُرُزٌّ وفيه حَلوى، فنَقَبْتُ الأَرُزَّ بـإصْبَعِي، فقـال لي: «أَخَـرَقْتَهـا لتُغْرِقَ أهلَها؟».

فقلت لـه: أَتَهْـزَأُ بكتـاب الله تعـالى على الطعام؟!.

ثم أمسكتُ عن كـلامه مـدةً، وما أَقْـدِرُ على قبوله وأنا أذكُر ذلك منه(1).

---

(1) من «وَفَيَات الأعيان» لابن خَلِكّان ١ : ٢٨١ . وأقول : فليتَّعِظِ الذين يستشهدون على الموائد بقوله تعالى : ﴿ولـلآخرة خيـر لك من الأولى﴾ يريدون من (الآخرة) الفاكهة، و (الأولى) الطعام الأول. وهذا لا يجوز.

١

أبو الحسنِ بُنانُ بنُ محمدٍ الزاهد
ـ الوثيقة الضائعة ـ

قال أبو علي الرُّوْذْباري البغدادي: كنتُ ذاتَ يومٍ عند شيخِنا الجُنَيْدِ في بغدادَ، فجاءه كتابٌ من يوسفَ بنِ الحسنِ يقول فيه:

لا أذاقكَ الله طَعْمَ نفسِك، فإنك إنْ ذُقْتَها لم تَذُقْ بعدها خيراً أبداً!.

قال أبو علي: فجعلتُ أفكر في طَعْمِ النفْسِ ما هو؟. وجاءني ما لمْ أَرْضَه من الرأي. حتى سمعتُ بخبرِ بُنانٍ رحمه الله مع أحمدَ بنِ طُوْلُوْنَ أميرِ مصرَ، فهو الذي كان سَبَبَ قدومي إلى هنا، لأرى الشيخَ وأصحَبَه وأنتفعَ به.

فقـدِمتُ إلى مصر، فلمـا لقيتُ الشيخَ لقيتُ رجلاً من تلاميذ شيخِنا الجنيدِ، يتلألأُ فيه نوره، ويَعملُ فيه سِـرُّه، وعلامـةُ الرجـل مِن هؤلاء أن يعمـلَ وجودُه فيمن حـولَه أكثـرَ ممـا يعمـلُ هـو بنفسه[1].

قال: وهَمَمْتُ مَرةً أنْ أسألَ الشيخَ عن خَبَـره مـع ابنِ طُـولـون فَقَـطَعَتْني هَيْبَتُــه، فقلت ـ في نفسي ـ: أحتـالُ بسؤاله عن كلمـة يـوسفَ بـنِ الحسن: «لا أذاقكَ الله طَعْمَ نفسِك. . .».

وبينما أُهَيِّيءُ في نفسي كلاماً أُجري فيه هذه العبارة، جاء رجلٌ فقال للشيـخ: لي على فلانٍ مـائةُ دينـارٍ، وقد ذهَبَتْ الـوثيقةُ التي كُتِبَ فيهـا الـدَّينُ، وأخشى أن يُنكِرَ إذا هـو علم بضَياعِهـا

(١) يريد: أن روح العالم الصالح تؤثِّر في أصحـابه ومحبِّيـه أكثر مما يؤثِّر فيهم شخصه وبيانه.

فادعُ الله لي وله: أن يُـظْفِرني بـدَيْني، وأن يُثَبِّتَه على الحق.

فقال له الشيـخ: إني رجلٌ قـد كَبِرتُ، وأنـا أُحِبُّ الحَلْوَى، فـاذهبْ فـاشْتَـرِ رِطْـلاً[1] منهـا وائْتِني به، حتى أدعوَ لك!.

فذهب الرجـل، فاشتـرى الحَلْوى، وَوَضَعَها له البائع في ورقة، فـإذا هي «الوثيقةُ الضائعةُ!» وجاء إلى الشيخ فأخبره، فقال له الشيخ:

خُذِ الحَلوى فأَطْعِمْها صِبيانَـك. لا أَذَاقَنا الله طَعْمَ أنفسِنا فيما نشتهي!.

(١) الرِّطلُ عند الحنفية يسـاوي (٤٥٥) غرامـاً، وعند المـذاهب الأخـرى يتراوح بين ٣٢٣ غـراماً و ٣٢٨. انـظر تحريـرها في الصفحة الأخيرة من الجـزء التاسـع من «سنن الترمـذي» طبعة حمص.

٢

أبو الحسنِ بُنَانُ بنُ محمدٍ الزاهدُ

ـ من خاف الله خافه كلُّ شيء ـ

قال أبو علي الرُّوْذْباري:

فلم تَبْقَ حاجةٌ إلى سؤالِ الشيخِ عن خَبَره مع ابن طُوْلُونَ، بَيْدَ أني لم أَنصرفْ حتى لقيتُ أبا جعفرٍ الدِّيْنَوَري فقال لي:

ـ لعلكَ اشْتَفَيْتَ من خبرِ بُنانٍ مع ابنِ طُوْلُون؟ فمِن أجله زعمتَ جئتَ إلى مصر!.

قلت: إنه تَواضَعَ فلم يُخبرني، وهِبْتُه فلم أسألْه.

قال: تعالَ أحدِّثْك الحديثَ.

كـــان أحمـــدُ بن طُـــولُـــونَ رجـــلاً طـــائشَ السيفِ[1]، يَجـورُ ويَعْسِفُ[2]، وقـد أُحْصِي مَن قَتَلَهم صَبْراً[3] أو ماتـوا في سِجنه فكـانوا ثمـانيةَ عَشَرَ ألفاً!.

ولمـا ذهبَ شيخُـك أبـو الحسنِ بُنـانٌ يَعَنِّفُـه ويـأمرُه بـالمعـروف وينهـاه عن المنكـر، طـاشَ عقلُه، فأمر بإلقائه إلى الأسد، وهو الخبرُ الـذي طار في الدنيا حتى بَلَغك في بغداد.

وقـد كنتُ حاضـرَ أمرِهم ذلـك اليومَ، فجِيءَ بالأسد مِن قَصْر خُمَارُوَيْه بنِ أحمدَ بنِ طُـوْلُونَ، وكـان خُمَارويـه هذا شَغُـوفاً بـالصيـد، لا يكـاد يَسمع بسَبُعٍ في غَيْضَة[4] أو بطن وادٍ إلاّ قَصَدَه،

---

(١) يريد: يضرب بسيفه من غير تعقل.

(٢) العَسْف: الأخْذ بقوة.

(٣) القتل صبراً: أن يُمْسَكَ الرجل ويُرْمَى بشيء حتى يموت.

(٤) كل مكان يكثُر فيه الشجر.

ومعــه رجــالٌ عليهم لُبُــودٌ[1]، فيــدخلون إلى الأسد، ويتناولونه بأيديهم من غـابِهِ عَنْـوَةً[2] وهو سليمٌ! فيضعـونه في قَفَص خشبي يَسَـعُ السبُـعَ وهو قائم.

وكـان الأسد الـذي اختاروه للشيـخ أغلظَ ما عندهم، جَسيماً ضـارياً[3]، عـارِمَ الوَحْشيـة[4]، مُتَـزَيِّل العَضَـل[5]، هَـرَّاسـاً فَـرَّاسـاً[6]، أَهْـرَتَ

(١) جمع لِبْد، وهو اللُّبَّادةُ المعـروفة يَضَعُهـا عليه الـرجلُ ليَحفظ نفسَه من مخالب الأسد حين اصطياده.

(٢) قهراً.

(٣) جريئاً. يريد: مفترساً.

(٤) شديد الوحشية، لا يطاق.

(٥) التَّزَيُّل في أصل اللغة: التفرُّق والتميُّز، فلعله يريد أن عَضَلاتِه بارزةٌ متميزةٌ عن سائر أعضائه، لامتـلائهـا وانتفـاخها، وهـذه علامة القوة.

(٦) وصفـان للأسـد يراد منهمـا: شـديـد الافتـراسِ، والهـرسِ للفريسة.

الشِّـدْقِ[1] يَلوحُ شِدقُـه من سَعته ورَوْعَتِـه كفَتْحة القبر، يُنْبِىءُ أن جوفه مقبرة!.

وأَجلسـوا الشيخَ في قـاعـة، وأَشْـرفـوا عليـه ينـظرون، ثم فَتَحـوا بــابَ القَفَص من أعـلاه، فجَذَبوه فارتفع، وهَجْهَجُوا[2] بالأسد يَزجُـرونه، فانطلقَ يُزَمْجِرُ ويَزْأَرُ[3] زَئيراً تَنْشَقُّ له المَرائِر[4]، ويَتَوهَّم مَن يسمعُه أنه الرعدُ وراءَه الصاعِقة!.

ثم اجتمـع الـوحشُ في نَفْســه واقْشَعَـرَّ، ثم تَمَـطَّى[5] كالمِنْجَنِيق يقـذِف الصخرةَ، فمـا بقيَ

---

(١) أي: واسعَ الشدق، والشدق: باطن الخدّ.

(٢) صاحوا به.

(٣) الزَّئير: صوت الأسد من صدره، والزَّمْجَرة: تَرديـده وتكراره لهذا الصوت.

(٤) جمع مرارة، وهي القـطعة الصغيـرة الصفراء التي تكـون مع الكبدِ في باطن الإنسان، وتساعـد على هضم الطعـام، وهيَ التي تتأثر بالرُّعب الشديد الهالع.

(٥) تَمَدَّد.

من أَجَلِ الشيخِ إلّا طَرْفةُ عينٍ، ورأيناه[1] - على ذلك - ساكناً مُطْرِقاً[2] لا يَنْظُر إلى الأسد ولا يَحْفِلُ به[3] وما منا إلّا مَن كاد ينهتِكُ حجابُ قلبه من الفَزَع والرُّعْبِ والإشفاق على الرجل.

ولم يَرُعْنا[4] إلّا ذُهولُ الأسدِ عن وَحْشِيَّته، فأَقْعَى[5] على ذَنَبه، ثم لَصِق بالأرض هُنَيْهَة[6] يفترشُ ذِراعيه، ثم نَهَض نَهْضةً أُخرى كأنه غيرُ الأسد، فمشى مُتَرَفِّقاً ثقيلَ الخَطْو، تُسمَع لمفاصله قَعْقَعَةٌ من شِدته وجَسَامته، وأقبل على الشيخ وطَفِق يَحْتَكُّ به ويَلْحَظُه[7] ويَشَمُّه، كما

---

(١) الضمير يعود على الشيخ.

(٢) ساكتاً ناظراً إلى الأرض.

(٣) لا يهتمُّ به.

(٤) لم يُفْزِعْنا ولم يَلْفِتْ انتباهنا.

(٥) جلس.

(٦) زمناً يسيراً.

(٧) ينظر إليه بِلِحاظ عينه، واللحاظ: طرف العين وآخرها.

يصنعُ الكلبُ مع صاحبه الذي يَأْنَسُ به، وكأنه يُعْلِن أن هذه ليست مصاوَلةً[1] بين الرجلِ التقيِّ والأسد، ولكنها مبارزة بين إرادة ابنِ طُولونَ وإرادةِ الله!.

رأى الأسدُ رجلاً هو خوفُ الله، فخاف منه! وكما خرج الشيخُ من ذاته ومعانيها الناقصة، خرج الوحشُ من ذاته ومعانيها الوحشية، فليس في الرجل خوفٌ ولا همٌّ ولا جَزَع ولا تَعلُّقٌ برغبة، ومن ذلك، ليس في الأسد فَتْكٌ ولا ضَرَاوةٌ ولا جوع ولا تعلُّق برغبة.

قال الدِّيْنَوَري: وانْصَرَفْنا عن النظر في السَّبُعِ إلى النظر في وجه الشيخ، فإذا هو ساهِمٌ[2] مفكِّر، ثم رفعوه، وجعل كلٌّ منا يَظُنُّ ظناً في تفكيره.

---

(١) مُوَاثبَةَ الخصمِ على خصمه ومقاتلتَه.

(٢) عابس.

فمن قائلٍ: إنه الخوفُ أذهَلَه عن نفسه.

وقائلٍ: إنه الانصرافُ بعقله إلى الموت.

وثالثٍ: يقول: إنه سُكونُ الفِكرةِ يمنعُ الحركةَ عن الجِسمِ فلا يَضطرب.

وزعم جماعةٌ أن هذه حالةٌ من الاستغراق يُسْحَرُ بها الأسدُ!.

وأَكْثَرْنا من ذلك، وتَجارَيْنا فيه[1] حتى سأله ابن طولون:

ـ ما الذي كان في قلبكَ، وفيمَ كنتَ تفكِّر؟.

فقال الشيخ: لم يكنْ عليَّ بأسٌ، وإنما كنتُ أُفكِّر في لُعاب الأسدِ: أهو طاهرٌ أم نجس!![2].

---

(١) أي: أَخَذْنا نتحادثُ، وكلٌّ منا يقول قولاً.

(٢) من «وحي القلم» للرافعي رحمه الله ٣: ٥٠ ـ ٥٨ باختصار شديد. وأصل القصتين في «الحلية» لأبي نعيم ١٠: ٣٢٤، و «تاريخ بغداد» ٧: ١٠١ ـ ١٠٢.

٣

أَمَّنْ يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاه

قال رجل: كنتُ أُكاري[١] على بغل لي من دمشقَ إلى بلد الزَّبَداني[٢]، فركب معي ذاتَ مرةٍ رجلٌ، فَمَرَرْنا على بعضِ الطريقِ عن طريقٍ غيرِ مَسْلوكة، فقال لي:

خُذْ في هذه، فإنها أقربُ.

فقلت: لا خِبْرَةَ لي فيها.

فقال: بل هي أقربُ.

فسلكْناها، فانتهينا إلى مكان وَعْرٍ ووادٍ

---

(١) أكاري: أنقل الناس بالأجرة.

(٢) مَصِيفٌ مشهور من مصايف دمشق.

عميق، وفيه قتلى كثيرة، فقال لي:

ـ أَمْسكْ رأسَ البغل حتى أَنزل.

فنزل وتَشَمَّر وجمع عليه ثيـابه، وسـلَّ سِكِّيناً معه وقَصَدني، فَفَـرَرْتُ من بين يديـه، وتَبِعَني، فناشدتُه الله وقلت:

ـ خُذِ البغلَ بما عليه.

فقال: هو لي، وإنما أريد قَتْلُك.

فخوَّفتُه الله والعقوبةَ، فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه وقلت:

ـ إن رأيتَ أن تَتْرُكَني حتى أصلِّيَ ركعتين.

فقال: وعَجِّلْ.

فقمتُ أصلِّي، فـأُرْتِـجَ عليَّ[1] القـرآنُ، فلم

---

(١) أُغْلِقَ عليَّ فلم أتذكر شيئاً.

يحضُـرني منه حـرف واحد، فبقيت واقفـاً متحيِّراً وهو يقول: هِيْهِ[1] أُفْرُغْ.

فـأجرى الله على لسـاني قولـه تعالى: ﴿أمَّنْ يُجِيبُ المُضْطرَّ إذا دَعَاهُ ويكشِفُ السُّوءَ﴾.

فإذا أنا بفارس قد أقبلَ مِن فَم الوادي وبيـده حَرْبةٌ، فرمى بها الرجلَ فما أخطأتْ فؤادَه، فَخَرَّ صريعاً، فتعلَّقْتُ بالفارس وقلت:

ـ بالله مَنْ أنتَ؟ فقال:

ـأنـا رسولُ الـذي يجيبُ المضـطرَّ إذا دعــاه ويكشف السوء.

قــال: فـأخــذت البغـل والحِمْــل ورجعتُ سالماً[2].

---

(١) تقال للاستزادة من الشيء، وهنا قالها للاستعجال.

(٢) القصة ذكرهـا ابن كثير في تفسيـر الآية المـذكورة من سـورة النمل ٣: ٣٧١ وعزاها إلى «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

من أخبار الصالحين

٤

نور الدين الشهيد

قال سِبْط ابن الجوزي:

حكى لي نجمُ الدين بن سلام، عن والده: أن الفِرَنْج لما نَزَلتْ على دِمْياط[١] ما زال نورُ الدين عشرينَ يوماً يَصومُ ولا يُفطر إلا على الماء، فضعُف وكاد يَتْلَف، وكان مَهيباً ما يجسُر أحدٌ يخاطبه في ذلك.

فقال إمامُه يحيى: إنه رأى النبيَّ ﷺ في النوم يقول: يا يحيى، بشِّرْ نورَالدين بِرَحيل الفِرَنْج عن دِمياط. فقلت: يا رسول الله، ربما

(١) مدينة في مصر.

لا يُصدِّقني. فقال: قل له: بعلامة يوم ِ حارِم[1] وانْتَبَهَ يحيى.

فلما صلَّى نورالدين الصُّبحَ، وشَرَع يدعو، هابَه ـ يحيى. فقال ـ نورالدين ـ له: يا يحيى تُحَدِّثُني أو أُحَدِّثُكَ؟ فارتعد يحيى وخَرِس. فقال ـ نورالدين ـ: أنا أُحَدِّثُك. رأيتَ النبيَّ ﷺ هذه الليلة وقال لك كذا وكذا. قال: نعم، فبالله يا مولانا ما معنى قوله: بعلامةِ يوم ِ حارم؟.

فقال: لما التقَيْنَا العدوَّ خِفْتُ على الإسلام، فانفردتُ ونَزَلْتُ ومرَّغْتُ وجهي على التراب وقلت: يا سيدي مَنْ محمودٌ في البَيْن[2]، الدينُ

---

(١) منطقة تابعة لمحافظة إدلب في سوريا.

(٢) محمود: هو اسم نورالدين الشهيد. والبَيْن: الوسط، والمراد هنا: لا ذكر له في هذا الموقف ولا أثر، إنما المهم: سلامة الدين وجند المسلمين.

دينُك، والجُنُدُ جُنْدُك، وهذا اليوم افعلْ ما يَليق بكَرمك.

قال: فَنَصَرنا الله عليهم[٤].

---

(١) من «سير أعلام النبلاء» ٢٠ : ٥٣٨ عن «مرآه الزمان» ٨ : ١٩٩ لسبط ابن الجوزي، وانظر القصة وفتح حارم بأزيد مما هنا في «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» ٢ : ٤٤ للعلامة الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله، وكان ذلك عام ٥٥٩ هـ.

أوصاف الفقير إلى الله تعالى

الفقير إلى الله تعالى: مَنْ كان خالصاً بكلِّيَّته لله سبحانه، ليس لنفسِه ولا لهواهُ في أحواله حظٌّ ولا نصيب، فهو يريد الله بمراد الله، فمعوَّله على الله، وهِمَّتُه لا تقفُ دون شيء سواه، قد فَني بحبِّه عن حبِّ ما سواه، وبأمرِه عن هواه، وبحسن اختياره له عن اختياره لنفسه، فهو في وادٍ، والناسُ في وادٍ.

خاضعٌ، متواضعٌ، سليمُ القلب، سَلِسُ القِياد للحق، سريعُ القلب إلى ذكر الله، بريءٌ من الدعاوي، لا يدَّعي بلسانه ولا بقلبه ولا بحاله، زاهدٌ في كل ما سوى الله، راغبٌ في كلِّ

مـا يقرِّب إلى الله، قريبٌ من الناس، أبعـدُ شيء منهم، يـأنسُ بما يستـوحشون منـه، ويستوحشُ مما يأْنَسُون به، مَن جـالَسَه قرَّت عينُـه به، ومَن رآه ذكَّـرتُه رؤيتُـه بالله سبحـانه، قـد حَمَـل كَلَّه ومُؤْنَتَـه عن الناس، واحتمـل أذاهم، وكفَّ أذاه عنهم.

وَصْفـه: الصـدقُ، والـعفَّـةُ، والإيـثـار، والتـواضع، والحِلْم، والـوقار، والاحتمـال، لا يُعاتِب، ولا يُخاصِم، ولا يُـطالِب، ولا يَرَى لـه على أحـدٍ حقاً، ولا يـرى له على أحـدٍ فضْلاً، قد رُفع لـه عَلَم الحبِّ فشمَّر إليـه، وناداه داعي الاشتيـاق فـأقبـلَ بكلِّيتـه عليـه، أجـاب منـاديَ المحبـةِ إذْ دعـاه: حيَّ على الفـلاح، ووصـل السُّرى في بَيْداء الـطلب، فَحَمِد عنـد الوصـول سُـرَاه، وإنمـا يَحْمَـدُ القـومُ السُّـرى عنـد

الصباح[1]:

١ ـ فَحَيَّ على جناتِ عدنٍ فإنها
منــازلُــكَ الأُولى وفيهــا المُخَــيَّمُ

٢ ـ ولكننـا سَبْيُ العـدو، فهـل تـرى
نـعــود إلـى أوطــانــنــا ونُـسَــلَّم

٣ ـ وحيَّ على روضاتِها وخيامِها
وحيَّ على عيش بهــا ليس يُســأم

---

(١) السُّرى: سير عامة الليل، وهو متعب، لكن صاحبه يَسْلُو تَعَبَه حينمـا يُسفر عنـه الفجر وقـد قطعَ مسـافاتٍ طـويلةً، فحينئـذ يحمدون السُّرَى الذي أتعبهم.

١ ـ حيَّ: أقبـلْ. ومنازلـك الأولى: يـريـد أيـام كـان بنـو آدم جميعـاً في صلب أبيهم آدم عليه السـلام، وهـو في الجنـة، فبهذا الإعتبار كانت الجنة منازلنا الأولى.

٢ ـ العـدو: هـو إبليس الـذي تسبَّب في إخـراج أبينـا آدم من الجنة، ونحن تَبَعٌ له. والعود إلى أوطـاننا: دخـول الجنة يـوم القيامة.

٤ ـ ومن تحتها الأنهار تخفِق دائماً
وطيرُ الأماني فوقها يترنَّم

٥ ـ وقد ذُلِّلتْ منها القُطُوف فمن يُرِدْ
جَناها يَنَلْه كيف شاءَ ويَنْعَم

٦ ـ أقام على أبوابها داعي الهدى
هلُموا إلى دار السعادةِ تغنموا

٧ ـ فيا مسرعين السَّيْرَ بالله ربِّكم
قِفوا بي على تلك الرُّبوعِ وسلِّموا

٨ ـ وقولوا: محبٌّ قاده الشوق نَحْوَكم
قَضَى نَحْبَه فيكم تَعيشوا وتَسْلموا

٩ ـ وحبُّكمُ أصلُ الهُدَى، ومدارُه
عليه، وفوزٌ للمحبِّ ومَغْنَمُ

---

٨ ـ قضى نحبه: أي مات حباً لكم.

١٠ ـ وحَسْبي انتسابي مِن بعيد إليكمُ
وذلــك حظٌّ مــثـلهُ يُـتَـيَـمَّـمُ

١١ ـ إذا قيـل هـذا عبـدُهم ومحبُّهم
تَـهَلَّل بِـشْـراً ضـاحكـاً يـتبـسَّـمُ

١٢ ـ وها هو قد أبدى الضَّرَاعةَ قـائلاً
لكم بلسان الحال، والحـال يُعْلِمُ :

١٣ ـ أحِبَّتَنـا عـطفـاً علينـا فـإننـا
بنـا ظَمـأٌ والمـوردُ العـذبُ أنتمُ

---

١٠ ـ يتيم: يُقْصَد.

١٢ ـ والحال يُعْلِم: أي: يكشف ويفضح واقع صاحبه.

١٣ ـ من «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى ص ٨٨ فما بعد.

دعاءٌ ومناجاةٌ

١ ـ قال الإمامُ أبو المظفَّرِ السَّمْعانيُّ رحمه الله في فاتحة كتابه «الاصْطِلام»[١]:

«اللهم اجعلْ صدري خِزانةَ توحيدِك، ولساني مِفتاحَ تَمجيدِك، وجَوارِحي خَدَمَ طاعتِك، فإنه لا عِزَّ إلّا في الذُّلِّ لك، ولا غِنىً إلّا في الفقرِ إليك، ولا أمنَ إلّا في الخوفِ منك، ولا قرارَ إلّا في القَلَق نَحْوَكَ[٢]، ولا رَوْحَ إلّا في النظر إلى وَجْهِك[٣]، ولا راحةَ إلّا في

(١) كتاب في أصول الفقه الشافعي.

(٢) أي: التوجُّه إليك.

(٣) أي: ولا راحة إلا...

الرِّضا بقَسْمك، ولا عيشَ إلّا في جِوارِ المقرَّبين عندك»[1].

* * *

٢ ـ كان الإمام أبو العباسِ أحمدُ بن عطاء الله الإسكندريُّ رضي الله عنه يقول في مناجاته:

«إلٓهي أنا الفقيرُ في غِناي، فكيف لا أكونُ فقيراً في فَقْري؟! وأنا الجَهُولُ في عِلْمي، فكيف لا أكون جَهُولاً في جَهْلي؟!.

إلٓهي مِنِّي ما يَليقُ بلُؤْمي، ومنكَ ما يليقُ بكرمك، إنْ ظَهَرتِ المحاسنُ مني فبفضلك ولك المِنَّةُ عليَّ، وإنْ ظَهَرتِ المساوِئُ مني فبعَدْلك، ولك الحُجَّةُ عليّ.

إلٓهي ما ألطفَكَ بي مع جَهْلي، وما أرحَمَك بي مع قبيحِ فِعلي، وما أقربَك مني، وما

---

(١) من «طبقات الشافعية» للسُّبْكي ٥: ٣٤٥.

أَبْعدَني عنك، وما أَرْأَفَكَ بي، فما الذي يَحْجُبُني عنك؟!.

إلٓهي عَمِيَتْ عَينٌ لا تَراك عليها رقيباً، وخَسِرتْ صفقةُ عبدٍ لم تجعلْ له من حُبك نصيباً.

إلٓهي هذا ذُلِّي ظاهرٌ بين يَدَيْك، وهذا حالي لا يَخْفَى عليك، منكَ أطلُبُ الوصولَ، وبكَ استدِلُّ عليك، فاهْدِني بنورك إليك، وأَقِمْني بصِدْق العُبودية بين يَدَيْك.

بك أسْتَنْصِرُ فانْصُرْني، وعليك أتوكَّلُ فلا تَكِلْني، وإليك أسألُ فلا تَحْرِمني، وفي فضلك أرغبُ فلا تُخَيِّبْني، ولِجَنابِك أَنتسِبُ فلا تُبْعِدْني، وببابك أقِفُ فلا تَطْرُدْني.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ صلاةً تُرضيك

وتُـرضيـه وتَـرضى بهـا عنـا يـا ربَّ العــالمين. آمين»[1].

(١) من خاتمة «تاج العروس» لابن عطاء الله.

طُرَف ومُلَح

١

وصف الكتاب

قِيل للإمامِ عبدِ الله بنِ المبارك: إنكَ تُكْثِرُ الجلوسَ وَحْدَكَ!. فغضب وقال: أنا وحدي! أنا مع الأنبياءِ والأولياءِ والحكماءِ والنبيِّ ﷺ وأصحابِه، ثم أنشد هذه الأبياتَ - وهي لمحمد بن زياد الأعرابي -:

ولي جُلَساءُ ما أَمَلُّ حديثَهم
أَلِبَّاءُ مأمونونَ غَيْباً ومَشْهداً[1]

---

(١) أَلِبَّاءُ: جمع لَبيب، وهو مَن فيه لبٌّ، واللُّبُّ: هو خالص العقل. فاللبيب: مَن فيه عقل خالصٌ سليم، لا يتأثر بنوازع الشهوات ونحوها في تفكيره وما يَصْدرُ عنه من رأى وتصرّف.

إذا ما اجْتَمَعْنا كـان حُسْنُ حدِيثهم
مُعِينـاً على دَفْـع الهُمـومِ مُؤَيِّـداً
يُفِيدُونَنِي مِن علمِهِمْ عِلْمَ ما مضى
وعقـلاً وتـأديبـاً ورأيـاً مُسَـدَّداً
بـلا رِقْبةٍ أَخْشَى ولا سُـوءِ عِشْـرة
ولا أتَّقِي منهم لسـانـاً ولا يَـدَاً(١)

---

(١) بلا رِقبة: بلا مراقب حاسد يخشاه، ولا تصرُّفٍ سيء يصدر عن هؤلاء الجلساء، ولا يُخافُ من لسانِهم ولا يَدِهم.

والقصة من «المضنون به على غير أهله» لعز الدين الزَّنجاني ص ٤ ـ ٥ بشرحه.

وصف الدفتر

نظر المأمونُ ـ الخليفةُ العباسيُّ ـ إلى ابنٍ صغيرٍ له، في يدِه دفترٌ، فقال المأمون: ما هذا بيدِكَ؟.

فقال: بعضُ ما تُسَجَّلُ به الفِطْنةُ، ويُنَبِّهُ من الغَفْلة، ويُؤْنِسُ من الوَحْشة!.

فقال المأمون: الحمد لله الذي رَزَقني مِن ولدي مَن ينظرُ بعينِ عَقْله أكثرَ ما ينظرُ بعينِ جسمه وسِنِّه[1].

---

(١) من «الأذكياء» للإمام ابن الجَوْزي ص: ٢٣٥.

القاضي أبو بكر الباقِلَّاني

- ١ -

أرسل عضدُ الدولة الإمامَ القاضيَ أبا بكرٍ الباقِلَّانيَّ رحمه الله سفيراً إلى مَلِك الروم برسالة يُوصلها إليه، فلما ورد مدينتَه عُرِّف المَلِك خَبَرَه، وبُيِّن له محلُّه من العلم وموضعُه، فتفكَّر الملك في أمره، وعَلِم أنه لا يُكَفِّر[1] له إذا دَخَل عليه، كما جَرَى رَسْمُ الرَّعية[2]: أن تُقبِّل الأرضَ بين يدي الملك، ثم نَتَجَتْ له الفكرة:

---

(١) التكفير: الدخول منحنياً انحناءً قريباً من الركوع.

(٢) عادة الرعية.

أنْ يضعَ سريرَه الذي يَجلسُ عليه وراءَ باب لطيف[1] لا يُمكن أحدٌ أن يَدخلَ منه إلّا راكعاً، ليدخلَ القاضي منه على تلك الحال، فيكون عِوَضاً من تكفيره بين يديه.

فلما وَضَعَ سريره في ذلك الموضع أَمر بإدخالِ القاضي من الباب، فسار حتى وصل إلى المكان فلما رآه تفكَّر فيه، ثم فَطِن بالقصة، فأَدار ظهرَه وحَنَى رأسَه راكعاً ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه وقد استقبل الملكَ هكذا، حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه وَنَصَب ظهره، وأدار وجهه حينئذ إلى الملك. فعَجِب من فِطنته، ووقعتْ له الهيبة في نَفْس الملك[2].

---

(١) صغير قصير.

(٢) سُبق الإمامُ الباقلاني رحمه الله تعالى بهذه الخاطرة، سَبَقه بذلك عَمرُو بنُ أمية الضَّمْري الصحابي الجليل رضي الله =

. . . .

= عنـه، وذلك لمـا بَعَثه النبي ﷺ بكتـابه إلى النِّجـاشي. كمـا رَوَى القصة ابنُ أبي شيبة، ونقلها عنه الحافظ ابن طولون في أول «إعلام السائلين» ومحـل الشاهـد منه ذكـره ابن الأثير في «النهـايـة» مـادة ك ف ر، والقصـة بتمـامهـا في «سيـر أعـلام النبلاء» للذهبي أيضاً ٣: ١٨٠ ـ ١٨١.

وخبر القاضي الباقلاني في «تبيين كـذب المفتري» لابن عسـاكر صفحة ٢١٨.

القاضي أبو بكر الباقِلَّانيُّ
- ٢ -

وَدَخل القاضي على ملك الـروم يومـاً، فرأى عنـده بعضَ مَطَارِنَتِـه ورَهَابِيْنـهِ، فقـال القـاضي لراهبٍ مستهزِئاً به:

كيفَ أنت؟ وكيفَ الأهلُ والأولاد؟.

فتعجَّب الروميُّ منه وقال له:

ذَكَر مَن أَرسَلَك في كتاب الرسالة أنك لسـانُ الأمة، ومتقدِّمٌ على علماء المِلَّة، أَمَا علمتَ أنّـا نُنَزِّه هؤلاء عن الأهل والأولاد؟!.

فقال القاضي أبو بكر:

أنتم لا تنزِّهون الله سبحانه وتعالى عن الأهل والأولاد، وتنزِّهونهم، فكأنَّ هؤلاءعندكم أقدسُ وأجلُّ وأعلى من الله سبحانه وتعالى؟!.

فوقعتْ هيبتُه في نفس الرومي[1].

---

(١) جرى نحو هذه القصة لِقُبَاث بن رَزِين المصري المتوفَّى سنة ١٥٦، ذكرها له الحافظ ابن حجر في «التهذيب» ٨: ٣٤٤.
وخبر الإمام الباقلاني في صفحة ٢١٨ ـ ٢١٩ من «تبيين كذب المفتري».

من أساليب تربية الأبناء
١

تعليمهم مراقبة الله تعالى

قال سهلُ بنُ عبد الله التُّسْتَريّ:

كنتُ وأنا ابنُ ثلاثِ سنينَ أقومُ بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمدِ بنِ سَوَّار، فقال لي يوماً:

-ألا تَذْكرُ الله الذي خَلَقك؟.

فقلت: كيف أذكُرُه؟.

قال: قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاثَ مرات من غير أن تُحَرِّكَ به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهدي.

فقلتُ ذلك ليالي، ثم أَعْلمتُه، فقال: قلْ

ذلـك في كلِّ ليلة سبـعَ مراتٍ. فقلت ذلـك ثم أعلمتُه، فقال: قـل ذلك كـلَّ ليلةٍ إحدى عَشْـرةَ مرةً، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته.

فلما كان بعد سنة قـال لي خالي: احفظْ مـا علَّمتُـك ودُمْ عليه إلى أن تـدخـلَ القبـر، فـإنـه ينفعُك في الدنيـا والآخرة. فلم أَزَلْ على ذلـك سنين، فوجدتُ لذلك حلاوةً في سِرّي.

ثم قال لي خالي يوماً: يـا سهلُ مَن كـان الله معـه، وناظـراً إليه، ومشـاهدَه، أَيَعْصيـه؟! إياك والمعصيةَ.

فكنتُ أَخْلو بنفسـي... فـتعـلمتُ الـقــرآن وحفظتُه وأنا ابنُ ستِّ سِنينَ أو سبعِ سنينَ[1].

(١) من «إحياء علوم الدين» ٣: ٦٤ كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ـ بيان الطريق في رياضة الصبيان.

من أساليب تربية الأبناء

٢

أثر اصطحابهم إلى المسجد

كنتُ في العاشرة من سِنّي وقد جمعتُ القرآن كلَّه حفظاً، وجوَّدتُه بأحكام القراءة، وكان من عادة أبي رحمه الله أن يعتكفَ كلَّ سنةٍ في أحد المساجد عَشْرةَ الأيامِ الأخيرةِ من شهر رمضان، يدخلُ المسجدَ فلا يَبْرَحُه[١] إلا ليلةَ عيدِ الفطر بعد انقضاء الصوم.

وذهبتُ ليلةً فبِتُّ عند أبي في المسجد، فلما كنّا في جوف الليلِ الأخير أيقظَني للسُّحور، ثم

(١) لا يخرج منه ولا يغادره.

أَمَرني فتوضـأتُ لصلاة الفجـر، وأقبل هـو على قراءته، فلمـا كان السَّحَـرُ الأعلى هَتَفَ بالـدعاء المأثور:

«اللهم لـكَ الحمـدُ أنتَ قَيِّم[1] السمـواتِ والأرض ومَنْ فيهنَّ، ولـك الحمـدُ لـك مُلْكُ السموات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد أنت نورُ السموات والأرض، ولـك الحمدُ أنت مَلِكُ السمـوات والأرض، ولـك الحمـد أنت الحقُّ، وَوَعْدُكَ الحقُّ...»[2].

وأقبـل الناسُ يَنْتـابون المسجـدَ[3]، وَجَلَسنـا

(١) بمعنى: قَيُّوم وهـو ـ كمـا في «النهـايـة» ٤: ١٣٥: «القـائم بنفسه مطلقاً لا بغيره، وهو مع ذلك يقوم به كل موجود، حتى لا يُتَصَوَّرُ وجودُ شيء ولا دوام وجوده إلّا به».

(٢) هذا لفظ الحديث من «صحيح البخاري» ولفـظه في المصدر المنقول منه غير ذلك.

(٣) يدخلونه جماعةً بعد جماعة.

ننتظرُ الصلاةَ، وكانتِ المساجد في ذلك العهدِ تُضاءُ بقناديلِ الزَّيت، تَلُوح كأنها شُقوقٌ مضيئة في الجوِّ، فلا تَكشِفُ الليلَ، ولكنْ تكشفُ أسراره الجميلة.

وكان لها منظرٌ كمنظر النجوم يُتِمُّ جمالَ الليل بإلقائه الشُّعَل في أطرافه العليا، وكان الجالسُ في المسجد وقتَ السَّحَر يَشْعر بالحياة كأنها مَخْبُوءة.

لا أنسى أبداً تلك الساعةَ ونحن في جوِّ المسجد، والقناديلُ معلَّقةٌ كالنجوم في مَنَاطها من الفَلَك[1]، والناسُ جالسون عليهم وقارُ أرواحِهم، ومِن حولِ كلِّ إنسانٍ هدوءُ قلبِه.

لا أنسى أبداً تلك الساعةَ وقد انبعثَ في جوِّ

(١) الفلك: مدار النجوم.

المسجدِ صوتُ غَرِدٌ رَخِيم وهو يرتِّلُ هذه الآيات من آخر سورة النحل:

﴿أُدْعُ إلى سبيلِ ربّكَ بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادِلْهم بالتي هيَ أَحْسَنُ، إن ربَّك هو أعلمُ بمَنْ ضلَّ عن سبيله، وَهُو أعلمُ بالمهتدين. وإنْ عاقبتُم فعاقِبوا بمثلِ ما عُوْقِبْتم به، ولئنْ صَبَرتم لَهُوَ خيرٌ للصابرين. واصبِرْ وما صَبْرُك إلّا بالله، ولا تَحْزَنْ عليهم ولا تَكُ في ضَيْقٍ مما يَمْكُرون. إن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هُمْ مُحْسِنون﴾.

وكان هذا القارىءُ يَمْلِك صوتَه أتمَّ ما يملك ذو الصوت المطرب، فكان يتصرَّف به أحلى مما يتصرف القُمْريّ[1] وهو ينوح في أنغامه، وبلغ في التطريب كلَّ مبلغٍ يقدِرُ عليه القادر،

(١) نوع من الحَمَام.

وما كان إلّا كالبُلْبل هَـزَّتْه الـطبيعةُ بـأسلوبها في جمال القمر، فاهتزَّ يُجاوبها بـأسلوبه في جمـال التَّغْريد.

وسمعنا القرآن غَضّاً طَرِيـاً كأولِ مـا نَزَل بـه الـوحي، فكان هـذا الصوتُ الجميـلُ يـدور في النفْس كـأنه بعضُ السـرِّ الـذي يـدور في نـظام العـالَم، وكان القلبُ وهـو يتلقَّى الآيـاتِ كَقَلْب الشجرة يتناول الماءَ ويكسوها منه.

واهتزَّ المكان والزمان، كـأنما تجلَّى المتكلِّم سبحـانه وتعـالى في كلامـه، وبدا الفَجْـر كأنـه واقفٌ يستأذنُ الله أنْ يُضيءَ هذا النور!.

وكنا نسمعُ قرآنَ الفجر، وكأنما مُحِيَت الدنيا التي في الخـارج من المسجد وبَـطَلَ بـاطلُهـا، فلم يبقَ على الأرض إلّا الإنسـانيـةُ الـطاهـرةُ ومكانُ العبادة، وهـذه هي معجزةُ الـرُّوح، متى

كان الإنسان في لـذة روحه مـرتفعاً على طبيعتـه الأرضية.

أما الطفلُ الذي كان فيَّ يومئـذ فكأنمـا دُعي بكـل ذلك ليحمِـلَ هذه الـرسـالـةَ ويؤدِّيَهـا إلى الرجل الذي يجيء فيه مِن بعدُ.

فـأنا في كـل حالـةٍ أَخضـعُ لهـذا الصـوت: ﴿ادعُ إلى سبيـلِ ربِّك﴾ وأنـا في كـل ضـائقـة أخشـعُ لهذا الصـوت: ﴿وَاصْبِرْ ومـا صَبْـرُكَ إلاّ بالله﴾[1].

---

(1) من «وحي القلم» ٣: ٣١ لمصطفى صادق الرافعي باختصـار شديد.

١

قيس بن سعد الصحابي

- ١ -

مَرِضَ قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبَادَةَ ـ وهو صحابيٌّ ابنُ صحابيٍّ ـ فاستبطأ إخوانَه في العِيادة[1] فسَأل عنهم، فقيل له:

ـ إنهم يَسْتَحْيُون، مما لك عليهم من الدَّيْن!.

فقال: أخزى الله مالاً يمنعُ الإخوان من الزيارة! ثم أَمَر مَن يُنادي: مَن كان لقيسٍ عنده مالٌ فهو منه في حِلٍّ.

فكُسِرتْ عتبةُ بابه بالعَشيّ، لكثرة العُوَّاد.

(١) العيادة: زيادة المريض.

قيس بن سعد الصحابي

- ٢ -

وقد قيل لقيسِ بنِ سعدٍ هذا: هل رأيتَ قطُّ أَسْخَى منك؟.

قال: نعم. نزلْنا بالبادية على امرأة، فحضر زوجُها، فقالت له: إنه نَزَل بنا ضِيفانٌ، فجاء بناقةٍ فنَحَرها، وقال: شأنَكم. فلما كان الغدُ جاء بأخرى وَنَحرها، وقال: شأنَكم.

فقلنا: ما أكلْنا من التي نَحَرْتَ البارحةَ إلا اليسيرَ!.

فقال: إني لا أُطْعِمُ أضيافي البائت.

فأقمنا عنده أياماً ـ والسماءُ تُمطر ـ وهو يفعلُ كذلك. فلما أردنا الرَّحيل وَضَعْنا مائةَ دينارٍ في بيته وقلْنا للمرأة:

ـ اعتذري لنا منه، ومَضَيْنا.

فلما مَتَع[1] النهار إذا برجل يَصيح خَلْفنا:

قِفُوا أيُّها الرَّكْبُ اللِّئامُ! أَعْطَيتموني ثَمَن القِرَى؟!.

ثم إنه لَحِقَنا وقال:

لَتَأْخُذونَها وإلاّ طَعَنْتُكم بِرُمْحي!.

فأخذناها، وانصرف[2].

---

(١) ارتفع قبل الزوال.

(٢) القصتان من «سراج الملوك» للطُّرْطُوشي ص: ١٩١ و ١٨٨.

إيثار

يُـروى أن عبـدَ الله بنَ جعفــرٍ ـ وكـان أحــدَ الأجواد ـ خرج إلى ضَيْعـةٍ له فنـزل على نَخيلِ قومٍ ، وفيها غلامٌ أسودُ يقومُ عليها، فأُتِيَ بِقُوْته : ثـلاثةِ أقـراصٍ ، ودخل كلبٌ ودنـا من الغلامِ ، فرمى إليه بقُرصٍ فأكله، ثم رمى إليـه بالثـاني والثالث فأكلهما، وعبدُ الله ينظرُ، فقال: يا غلامُ كم قُوْتُك كلَّ يوم؟ .

قال: ما رأيتَ .

قال: فلمَ آثرتَ هذا الكلبَ؟ .

قـال: ما هي بـأرضِ كلابٍ، وإنـه جاء من مسافةٍ بعيدة جائعاً، فكرهتُ ردَّه.

قال: فما أنتَ صانعُ اليومَ؟.

قال: أَطْوي[1] يومي هذا.

قـال: عبد الله بن جعفـر: أُلَام على السخاءِ وهذا أسخى مني؟!.

فاشترى الحائطَ والغلامَ وما فيه من الآلات، فأعتق الغلامَ، وَوَهَب ذلك كله[2].

---

(١) لا آكل.

(٢) من «سراج الملوك» ص: ١٩١.

من هدي القرآن الكريم

١

النفقة: أَجْرُها، وبعضُ آدابِها

﴿مَثَلُ الذين يُنْفِقُون أموالَهم في سبيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابلَ، في كلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ، والله يُضاعِفُ لِمَن يَشَاءُ، والله واسعٌ عليمٌ.

الذين يُنفقونَ أموالَهم في سبيلِ الله، ثم لا يُتْبِعُون ما أنفقوا مَنّاً ولا أَذَىً[1]: لهم أَجْرُهُم عندَ ربِّهم، ولا خَوْفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنون.

---

(١) المَنُّ: هو إظهار المعروف إلى الناس والمنُّ عليهم به.
والأذى: هو أن يشكوَ منهم بسببِ ما أعطاهم.

قـولٌ معـروفٌ ومغفـرةٌ[1]: خيـرٌ من صَـدَقـةٍ يَتْبعُها أذىً، والله غَنيٌّ حلِيم.

يا أيُّها الذين آمنوا لا تُبْطِلوا صَدَقـاتِكم بالمنِّ والأذى، كـالذي يُنْفِقُ مـالَـه رِئـاءَ[2] النـاسِ ولا يُؤمنُ بـالله واليوم الآخـر، فَمَثَلُه كَمَثَلِ صَفْـوانٍ عليـه تُرابٌ، فـأصابـه وابِـلٌ فتـركـه صَلْداً[3] لا يَقـدِرون على شيء مما كَسَبـوا، والله لا يَهْـدي القومَ الكافرين.

ومَثَلُ الذين يُنفقـون أموالَهُمُ ابْتغـاءَ مَرْضـاةِ الله وَتَثْبيتـاً من أنفسِهم كَمَثَـلِ جَنَّـةٍ بِـرَبْـوَةٍ[4]

---

(١) أي: دعاءُ للفقير بالخير، وسَتْرٌ عليه حـاجتَه وفقـرَه: خيرٌ من صدقة وأذى.

(٢) أي: رياء وسمعة.

(٣) الصَّفْوان: الحَجَر الأملس الصُّلْب. والوابل: المطرُ الشديـدُ العظيم القَطر. والصَّلْد: الأملس النقي من التراب.

(٤) الـربـوة: المكـان المـرتفـع، وَثَمـره أزكى من ثمـر الأرض المنخفضة.

أصابَها وابِلٌ فآتتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ، فإنْ لم يُصِبْها وابلٌ فَطَلٌّ[1]، والله بما تَعْمَلون بصيرٌ﴾[2].

---

(١) الطَّلّ: هو المطر الخفيف الضعيف. أي: ومع كونِ المطرِ ضعيفاً فإن هذه الجنة آتت أُكُلَها ضِعفين.

(٢) من سورة البقرة: الآية ٢٦١ ـ ٢٦٥.

٢

من أهم أوامر الله تعالى

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقَاتِه، ولا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون. واعْتَصِموا بحَبْلِ الله[١] جميعاً، ولا تَفَرَّقوا، واذْكُروا نعمةَ الله عليكم إذْ كُنتم أعداءً فألَّفَ بين قُلُوبِكم، فأَصْبَحْتُم بنعمتِه إخواناً، وكُنتم على شَفَا[٢] حُفْرةٍ من النارِ فأَنْقَذَكم منها، كذلك يُبَيِّنُ الله لكم آياتِه لعلَّكم تَهْتَدون.

---

(١) هو القرآن الكريم.

(٢) أي: طرف. والمعنى: لولا أنْ يُنقذكم الله بالإسلام لكنتم في الآخرة من أهل النار.

وَلْتَكُنْ منكم أُمةٌ يَدْعُون إلى الخير، ويَأْمُرون بـالمعروفِ، ويَنْهَـوْن عن المنكـرِ، وأُولئـكَ هُمُ المُفْلِحون.

ولا تَكُونوا كالذين تَفَرَّقوا واخْتَلَفُـوا[1] مِن بعدِ ما جاءَهُمُ البيِّناتُ، وأولئكَ لهم عـذابٌ عظيمٌ. يومَ تَبْيَضُّ وجوهٌ وَتَسْوَدُّ وجوهٌ، فـأما الـذين اسْوَدَّتْ وُجُوههم: أَكَفَرْتُم بعدَ إيمانِكم! فذوقوا العـذابَ بما كنتمْ تَكْفُرون. وأما الذينَ ابْيَضَّتْ وُجُـوهُهُمْ ففي رحمةِ الله[2] هم فيها خالدون.

تلك آياتُ الله نَتْلُوها عليكَ بالحقِّ، ومـا الله يُريدُ ظُلْماً للعالمين﴾[3].

---

(١) تَفَرَّقوا بقلوبهم، واختلفوا في عقيدتهم.

(٢) المراد: محلُّ رحمة الله الرحمة الخالصة التي لا كدر فيهـا، وهي الجنة.

(٣) من سورة آل عمران: الآية ١٠٢ ـ ١٠٨.

٣

من الأدب مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يَدَيِ الله ورسولِه[1]، واتقوا الله، إن الله سميعٌ عليمٌ. يا أيُّها الذين آمنوا لا تَرْفَعُوا أصواتَكُمْ فوقَ صوتِ النبيِّ، ولا تَجْهَروا له بالقولِ كَجَهْرِ بعضِكم لبعضٍ، أنْ تَحْبَطَ أعمالُكم وأنتم لا تَشْعُرون. إن الذين يَغُضُّون أصواتَهم عندَ رسولِ الله أولئكَ الذين امْتَحَنَ الله قُلوبَهم

---

(١) أي: لا تقدِّموا اعتقاداً أو رأياً أو فعلاً أو قولاً أمام ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، فَحَذَفَ المفعولَ به ليشملَ كلَّ ما ذُكِر وما لم يُذْكَر.

للتقوى[1] لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ.

إن الذين يُنَادُونكَ مِن وراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهم لا يَعْقِلون. ولو أنهم صَبَروا حتى تَخْرجَ إليهم لكان خيراً لهم، والله غفورٌ رحيمٌ﴾[2].

---

(١) أي: امتَحَنَها واستَخْلَصها للتقوى، كما يُمْتَحَنُ ويُسْتَخْلَص الذهبُ من التِّبْر بعَرْضِه على النار، وهذا ثناء عظيم من الله تعالى على من تأدَّب بهذا الأدب: غضٍّ الصوت عند رسول الله ﷺ، حيث وصف قلوبهم بأنها قلوب خالصة للتقوى، وفيها خالص التقوى، ولولا ذلك لما صدر منهم هذا الأدب الرفيع.

(٢) أول سورة الحجرات.

من هَدْي النبي ﷺ

١

جماعةُ المسلمين ومسجدُهم

عن معاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الشيطانَ ذِئْبُ الإنسانِ، كذِئبِ الغَنَم، يأخذُ الشاةَ القاصيةَ والناحيةَ. فإياكم والشِّعابَ، وعليكم بالجماعةَ والعامةِ والمسجدِ»[١].

---

(١) القاصية: البعيدة عن رفيقاتها، والناحية: التي غَفَل عنها راعيها فبقيت في ناحيةٍ ومكان منعزل. والشِّعاب: الفرقة.

والمعنى العام للحديث:

أن الشيطان يؤذي الإنسان ويُهْلكه، كما أن الذئب الحيوانَ يُؤذي الشاة ويُهلكها، وكما أن الذئب يتربَّصُ بالشاة انفرادها عن القطيع ليفترسَها، كذلك الشيطان، يَجِدُ بُغْيَتَه عند الشاذّ =

. . . .

= المنعزل عن جماعة المسلمين بآرائه وسلوكه: «ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكم عن سبيله».

وفي الحديث بيانُ العلاج النافع لمن أراد السلامةَ من شياطين الإنس والجن، وهو لزومُ طريقِ جماعةِ المسلمين، ليسلمَ المسلمُ من انحراف الرأي والفهم، ولزومُ مسجدِهم ليسلَم له دينُه وسلوكُه.

والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٥: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

٢

من جوامع الدُّعاء المأثور

قال عبدُ الله بنُ عباسٍ رضي الله عنهما: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ليلةً حينَ فَرغَ من صلاته ـ قيام الليل ـ:

اللهم إني أسألكَ رحمةً مِن عندك تَهدي بها قلبي، وتَجْمَعُ بها أَمري، وتَلُمُّ بها شَعَثي[١]، وتُصْلِحُ بها غائبي[٢]، وتَرْفَعُ بها شاهدي[٣]، وتُزَكِّي بها عَمَلي، وتُلْهِمُني بها

---

(١) وتجمع بها ما تفرَّق من أموري، وما تشتت من أحوالي.

(٢) أي: تصلح باطني بكمال الإيمان والأخلاق الحسان.

(٣) أي: تعزّ ظاهري بالعمل الصالح.

رُشْدي، وتَرُدُّ بها أُلْفتي، وتَعْصِمُني بها من كلِّ سوء.

اللهم أَعْطِني إيماناً ويقيناً ليس بعده كُفْرٌ، ورحمةً أنالُ بها شَرَفَ كرامتك في الدنيا والآخرة.

اللهم إني أسألك الفوزَ في القضاء[1]، ونُزُلَ الشُّهداء[2]، وعيشَ السُّعداء، والنصرَ على الأعداء.

اللهم إني أُنزِل بك حاجتي، فإنْ قَصُر رأيي، وضَعُفَ عَمَلي: افتقرتُ إلى رحمتك،

---

(١) حقيقة الفوز: ما كان فيه حصول على الخير المطلوب، وسلامة من كل مكروه، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عن النار وأُدْخلَ الجنةَ فقد فاز﴾. فهنا يسأل الله تعالى أن يقدِّر له كل خير محبوب بالدين، وأن يصرف عنه كل شر، فيكون حينئذ من الفائزين.

(٢) المراد: مقام الشهداء.

فأسألك يا قاضيَ الأمورِ، ويا شافيَ الصدورِ[1]، كما تُجِيرُ بين البُحُورِ[2]: أن تُجِيرَني من عذاب السعير، ومن دَعوة الثُّبور[3]، ومن فتنةِ القبور[4].

اللهم ما قَصُر عنه رأيي، ولم تَبْلُغه نِيَّتي، ولم تَبْلُغه مسألتي من خيرٍ وعدتَه أحداً من خَلْقك، أو خيرٍ أنتَ مُعْطِيه أحداً من عبادك، فإني أرغبُ[5] إليك فيه، وأسألُكَه برحمتك ربَّ العالمين.

اللهم ذا الحَبْلِ الشديد[6]، والأمرِ الرشيدِ،

---

(١) الصدور: القلوب التي في الصدور.

(٢) أي: كما تحجز وتمنع البحور من الاختلاط، كالبحر العذب والملح فلا يختلطان.

(٣) النداء بالهلاك.

(٤) سؤال الملكين.

(٥) الرغبة: الطلب بجدٍّ واجتهاد.

(٦) الحبل: القرآن أو الدين. والشديد: المستقيم.

أسألك الأمنَ يومَ الوعيدِ، والجنةَ يومَ الخلودِ، مع المُقَرَّبين الشهودِ، الرُّكَّع السجودِ، المُوْفِينَ بالعهود، إنك رحيمٌ ودودٌ[1]، وإنك تَفعلُ ما تُريد.

اللهم اجْعَلْنا هادين مُهْتَدين، غيرَ ضالِّين ولا مُضِلِّين، سِلْماً[2] لأوليائك، وعدواً لأعدائك، نُحبُّ بحبكَ مَن أحبَّك، ونُعادي بعداوتك مَنْ خالفك.

اللهم هذا الدعاءُ، وعليك الإجابةُ، وهذا الجُهْدُ[3] وعليك التُّكْلان.

اللهم اجعلْ لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً من بين يَدَيَّ، ونوراً من خلفي، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من

---

(١) شديدُ الحبِّ لمن والاك.

(٢) أي: صُلحاً.

(٣) أي: الوُسْع.

تحتي، ونـوراً في سمعي، ونـوراً في بصـري، ونوراً في شَعَري، ونـوراً في بَشَري، ونـوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي.

اللهم أَعْظِم لي نوراً، وأَعْطِني نوراً، واجعلْ لي نوراً.

سبحان الذي تَعَطَّف العزَّ وقال به[1]، سبحان الذي لَبِسَ المَجْدَ[2] وتكرَّم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيحُ إلا لـه، سبحـان ذي الفضـلِ والنِّعَم، سبحـان ذي المجـدِ والكـرم، سبحـان ذي الجلال والإكرام[3].

(١) تعطف به: تردَّى به. أي: اتصف بأنه يغلب كلَّ شيء ولا يغالبه شيء، وقال به: أي: مَلَك عبـادَه بالعـزِّ، يقال: قـال علينا فلان أي: مَلَك.

(٢) أي: ارتدى بالعظمة والكبرياء.

(٣) رواه التـرمذي ٩: ١١٩ في أبـواب الـدعـوات، بـاب ـ رقم ٣٠ ـ رقم الحـديث ٣٤١٥ وقـال: حـديث غـريب، ورواه غيره، قال المناوي في «التيسير» ١: ٢١١ ـ ووافقه العزيـزي ١: ٣٠٥ ـ: «في أسانيده مَقالٌ لكنها تعاضدت».

من هدي النبي ﷺ

٣

من بركات سيدنا رسول الله ﷺ

عن ثَوْبانَ رضي الله عنه قال: نَـزَل بنا ضيفٌ بـدويٌّ[١]، فجلس رسول الله ﷺ أمـامَ بيـوتِـه، فجعــلَ يســألُــه عن النــاس: كيف فــرحُهـم بالإسلام؟، وكيف حَدَبُهم على الصلاة؟[٢] فمـا زال يُخْبره من ذلك بالذي يَسُـرُّه حتى رأيتُ وجهَ رسولِ الله ﷺ نَضِراً[٣].

فلمـا انتصف النهـارُ، وحـانَ أكـلُ الـطعامِ

---

(١) من أهل البادية.

(٢) يريد: اهتمامهم وإقبالهم على الصلاة.

(٣) زاد حسنُه بسروره وابتهاجه.

دعاني مُسْتَخْفِياً لا يَأْلُو[1]: أنِ ائتِ عائشةَ رضي الله عنها فأَخْبِرْها أن لرسول الله ﷺ ضيفاً. فقالت: والذي بعثه بالهُدَى ودينِ الحقِّ ما أَصبحَ في بيتي شيءُ يأكلُه أحدٌ من الناس.

فردَّني إلى نسائه، كلُّهن يَعْتَذِرْنَ بما اعتذرتْ به عائشةُ رضي الله عنها.

فرأيتُ لونَ رسول الله ﷺ خَسَفَ[2].

فقال البدويُّ: إنّا أهلَ الباديةِ مُعَانُون على زماننا، لَسْنا بأهلِ الحاضِرة، إنما يَكفي القُبْضةُ من التمر، يُشرَب عليها من اللبن أو من الماء، فذلك الخِصْبُ.

فَمَرَّتْ عند ذلك عَنْزٌ[3] لنا قدِ احتُلِبتْ كنا

---

(١) يتكلَّف الخُفْية ولا يقصر في التكتم.

(٢) ذهب منه سروره.

(٣) العَنْز: مفرد، جمعه أعنز.

نسميها: ثمر. فدعاها رسول الله ﷺ باسمها: ثمر ثمر!! فأقبلتْ إليه تُحَمْحِم، فأخذ بِرِجْلها: بسم الله، ثم اعتَقَلَها: بسم الله، ثم مَسَح سُرَّتها: بسم الله، فَحَطَّتْ، فدعاني بمِحْلَب، فأتيتُه به، فَحَلَب: بسم الله، فملأه، فدفعه إلى الضيف، فشرب منه شَربة ضَخْمة، ثم أراد أن يَضَعَه، فقال رسول الله ﷺ: «عُلَّ»[1]. ثم أراد أن يَضَعه فقال له: «عُلَّ». فكَرَّره عليه، حتى امتلأ وشَرِب ما شاء. ثم حلب: بسم الله وملأه وقال:

«أَبْلِغْ[2] عائشةَ رضي الله عنها هذا».

فشربتْ منه ما بدا لها، ثم رَجَعتُ إليه فحلب فيه: بسم الله، ثم أَرْسَلَني به إلى

---

(١) أي: اشربْ ثانيةً.

(٢) أَوْصِلْه إليها.

نسائه، كلمـا شُرِب منـه رددتُه إليـه فحلب فيه: بسم الله، فملأه.

ثم قـال: «ادفْعه إلى الضيف» فـدفعته إليـه، فقـال: بسم الله، فشرب منـه مـا شـاء الله، ثم أَعطاني، فلم آلُ[1] أنْ أَضَعَ شَفَتي على دَرَج[2] شفته، فشربتُ شـراباً أحلى من العَسَـل وأطيبَ من المِسْك.

ثم قال: «اللهم باركْ لأهلها فيها»[3].

---

(١) لم أقصر، بل بادرت.

(٢) يريد: موضع شفته ﷺ.

(٣) من «تـاريخ واسط» لأسلم بن سهل الـواسـطي ص: ٦١ - ٦٢.

٤

مغفرةُ الله تعالى لمن خَشِيَ منه

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«كان رجلٌ يُسْرِفُ على نفسه[(١)]، فلما حَضَره الموتُ قال لبنيه: إذا أنا مِتُّ فأَحْرِقوني، ثم اطْحَنوني، ثم ذَرُّوني في الرِّيحِ فوالله لئنْ قَدَر الله عليَّ[(٢)] لَيُعَذِّبَنِّي عذاباً ما عذَّبه أحداً.

---

(١) أي: يُكثِر من ارتكاب الذنوب والخطايا.

(٢) قال هذا في حال دهشته وغلبة الخوف عليه، ولم يقله قاصداً لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه. كما في «فتح الباري».

فلما مات فُعِل به ذلك، فأمر الله الأرضَ فقال: اِجْمَعِي ما فيكِ منه، ففعَلَتْ فإذا هو قائمٌ، فقال ـ الله له ـ: ما حَمَلكَ على ما صنعتَ؟ قال: يا ربِّ خشيتُك. فغَفَرَ له»[1].

(١) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب أحاديث بني إسرائيلَ تحت عنوان «باب» ٧ : ٣٣٢.

من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم

١

خُبَيْبُ بن عَدِيٍّ الأنصاريُّ
رضي الله عنه

قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: بَعَثَ النبيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْناً[١]، وأمَّر عليهم عاصمَ بنَ ثابت ـ وهو جَدُّ[٢] عاصم بن عمر بن الخطاب ـ فانطَلَقوا، حتى إذا كان بين عُسْفانَ ومكةَ ذُكِروا لحيٍّ من هُذَيل يقال لهم: لِحْيان، فتَبِعوهم بقريبٍ من

(١) السَّرِيَّة: جماعة من الجيش يتفاوت عددهم من خمسة إلى ثلاثمائة أو أربعمائة. وقوله «عيناً»: أي تستطلع الأخبار، كالجاسوس.

(٢) هكذا قال الراوي، والصواب: وهو خالُ، لأن أمه جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت، كما نبه إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح».

مائةِ رامٍ ، فاقتَصُّوا[١] آثارَهم، حتى أَتَوْا منزلاً نَزَلوه، فوجدوا فيه نَوَى تمرٍ تَزَوَّدوه من المدينة فقالوا: هذا تمرُ يَثْرِبَ[٢].

فتبعوا آثارَهم حتى لَحِقوهم، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابُه لجأوا إلى فَدْفَدٍ[٣]، وجاء القومُ فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهدُ والميثاقُ إنْ نزلتم إلينا أن لا نقتلَ منكم رجلاً.

فقال عاصم: أمّا أنا فلا أَنزلُ في ذِمةِ كافرٍ، اللهم أَخْبِرْ عنا نبيَّك.

فقاتَلوهم حتى قَتَلوا عاصماً في سبعةِ[٤] نَفَرٍ بالنَّبْل.

---

(١) اقتصوا: تتبَّعوا آثارهم.

(٢) يثرب: اسم للمدينة المنورة قبل هجرة النبي ﷺ، ثم نهي عنه.

(٣) الفدفد: الأرض الرابية المُشْرِفة.

(٤) في سبعة: مع سبعة آخرين.

وبقي خُبَيبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخـرُ[١]، فأعـطَوْهم العهـدَ والميثاق، فلما أعطَوْهم العهـد والميثاق نـزلـوا إليهم، فلما اسْتَمْكَنـوا منهم حَلُّوا أوتـارَ قِسِيِّهم[٢] فـربَطُوهم بهـا. فقال الـرجـل الثـالث الـذي معهمـا: هـذا أولُ الغَـدْرِ، فـأبَى أن يصحبَهم، فَجَـرَّرُوه وعالَجـوه على أن يَصْحَبَهم فلم يفعلْ، فقتلوه.

وانطلقوا بخُبيب وزيد حتى باعـوهما بمكـة، فاشترى خبيباً بنو الحارثِ بنِ عامرِ بن نَوْفل، وكان خبيبٌ هـو قَتَـلَ الحـارثَ بنَ عـامـرٍ يـومَ بـدرٍ، فمكثَ عنـدهم أسيـراً، حتى إذا أَجْمَعـوا قَتْلَه استعـار مـوسى من بـعضِ بنـاتِ الـحـارثِ لِيَسْتَحِدَّ[٣] بها، فأعارتْه.

---

(١) اسمه: عبد الله بن طارق.

(٢) القِسِيّ: جمع قوس، وهو معروف.

(٣) الاستحداد: حلقُ شعرِ ما تحتَ السرة.

قالت: فغَفَلتُ عن صبيٍّ لي فَدَرَجَ إليه حتى أتاه، فوضعه على فَخِذه، فلما رأيتُه فَزِعتُ فَزْعةً عرفَ ذاكَ مني، وفي يده الموسى فقال: أتخشَيْنَ أنْ أقتلَه؟ ما كنتُ لأَفعلَ ذاكَ إن شاء الله تعالى.

وكانت تقول: ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خُبيب، لقد رأيتُه يأكلُ من قِطْفِ عِنَبٍ، وما بمكةَ يومئذٍ ثَمَرةٌ! وإنه لمُوْثَقٌ في الحديد، وما كان إلّا رِزقٌ رَزَقه الله!.

فخرجوا به من الحَرَم ليقتُلُوه، فقال: دَعُوني أُصَلِّ ركعتينِ. ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تَرَوْا أن ما بي جزعٌ من الموت لزِدتُ. فكان أولَ من سَنَّ الركعتينِ عند القتل هو. ثم قال: اللهم أَحْصِهم عَدَداً، ثم قال:

ولستُ أُبالي حين أُقتلُ مسلماً

على أيِّ شِقٍّ كانَ لله مَصْرَعي

وذلـكَ في ذاتِ الإلـهِ وإنْ يَشَـأْ

يُبـارِكْ على أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَـزَّعِ[1]

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وبعثتْ قُـريش إلى عاصمٍ لِيُـؤْتَـوْا بشيء من جسـده يعرفـونه، وكـان عاصم قَتَـل عظيمـاً من عظمائهم يوم بدر[2]، فبعث الله عليه مِثْل الـظُّلَّةِ من الـدَّبْر[3] فحَمَتْـه من رُسُلهم فلم يقدِروا منـه على شيء[4].

---

(١) الأوصـال: جمـع وِصْـل: وهـو العضـو. والشِّلْو: الجسـد. والممزَّع: المقطَّع. والمعنى: لو شاء الله عـز وجل أن يبـارك على أعضاء جسد يُقطَّع: لفعل وحفظها من ذلك.

(٢) هو: عقبة بن أبي معيط.

(٣) الزنابير. فكان يقال لعاصم: حَمِيُّ الـدَّبْر: أي: مَحْمِيٌّ بهـا ممنوع محفوظ.

(٤) رواه البخـاري في مـواضـع من «صحيحـه» منهـا: كتـاب المغازي باب غزوة الرَّجيع ٨: ٣٨١ من «فتح الباري».

٢

سعيدُ بنُ عامرٍ الجُمَحِيُّ
رضي الله عنه

قال خالدُ بنُ مَعْدانَ: استعمل[١] علينا عمرُ بن الخطاب بحمصَ سعيدَ بنَ عامرٍ الجُمحيَّ، فلما قدِم عمرُ حمصَ قال: يا أهلَ حمصَ كيف وجدتُم عامِلَكم؟.

فشكَوْه إليه قالوا: نشكو أربعاً:

ـ لا يَخرجُ إلينا حتى يَتَعالَى النهارُ.

قال ـ عمر ـ: أَعظِمْ بها. وماذا؟.

قالوا: لا يُجيبُ أحداً بليل.

قال: وعظيمةٌ. وماذا؟.

(١) جعله عاملاً. أي: والياً أميراً.

قالوا: وله يومٌ في الشهر لا يخرجُ فيه إلينا.

قال: عظيمةٌ. وماذا؟.

قالوا: يَغْنِظُ الغَنْظَةَ بين الأيام[1].

فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تُفَيِّل[2] رأيي فيه اليومَ.

ثم قال لهم أمامه: ما تَشْكُونَ منه؟.

قالوا: لا يَخرجُ إلينا حتى يَتَعالى النهار.

قال ـ عمر ـ: ما تقول؟.

قال سعيد: والله إنْ كنتُ لأكرهُ ذِكْره: ليس لأهلي خادِمٌ، فأعجِنُ عجيني ثم أجلسُ حتى يَخْتمرَ، ثم أَخبِز خُبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم.

فقال ـ عمر ـ: ما تَشْكُون منه؟.

---

(١) أي: يصيبه في كل حين وآخر كربٌ شديد يُجهده حتى يشرفَ منه على الموت.

(٢) لا تخيِّب.

قالوا: لا يُجِيب أحداً بليل.

قال ـ عمر ـ: ما تقول؟.

قال سعيد: إنْ كنتُ لأكره ذِكره: إني جعلتُ النهارَ لهم، وجعلتُ الليل لله عز وجل.

قال عمر: وما تَشْكون؟.

قالوا: إن لـه يومـاً في الشهر لا يَخـرج إلينا فيـه.

قال عمر: ما تقول؟.

قـال سعيد: ليس لي خـادمٌ يغسِلُ ثيـابي ولا لي ثيــابٌ أُبـدِّلهـا، فــأجلسُ حتى تَجِفَّ، ثم أَدلُكَها، ثم أخرجَ إليهم من آخرِ النهار.

قال عمر: ما تشكون منه؟.

قالوا: يَغْنِظُ الغَنْظَةَ بين الأيام.

قال عمر: ما تقول؟.

قال سعيد: شهـدتُ مصرعَ خُبيبِ بنِ عـدي الأنصـاريِّ بمكة وقـد بَضَّعتْ[1] قريشٌ لحمَـه ثم

---

(١) بَضَّعتْ: قطَّعتْ.

حَمَلوه على جِذْعة، فقالوا: أَتُحِبُّ أن محمداً مكانَك؟ فقال: والله ما أُحِبُّ أني في أهلي وبلدي وأن محمداً ﷺ شِيكَ بشَوكة! ثم نادى: يا محمد!.

فما ذكرتُ ذلك اليومَ وتَرْكي نُصْرتَه في تلك الحال وأنا مشرك لا أُومن بالله العظيم إلّا ظننتُ أن الله عز وجل لا يَغْفِر لي بذلك الذنبِ أبداً، فتُصيبُني تلك الغَنْظَةُ.

فقال عمر: الحمد لله الذي لم يُفَيِّل فِراستي[1].

فبعث إليه بألف دينار وقال:

استعِنْ بها على أمرك.

فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خِدمتكَ.

فقال لها: فهل لكِ في خير من ذلك؟

(١) الفراسة: الظن المصيب المتحقِّق.

ندفعُها إلى مَن يأتينا بها أحوجَ ما نكون إليها.

قالت: نعم.

فدعا رجلاً من أهل بيته يَثِقُ به، فَصَرَّها صُرَراً ثم قال: اِنطلِقْ بهذه إلى أرملةِ آلِ فلانٍ، وإلى يتيمِ آل فلانٍ، وإلى مسكينِ آل فلان، وإلى مُبتلَى آلِ فلان.

فبقيتْ منها ذَهَبة[1] فقال: أَنفقي هذه. ثم عاد إلى عمله.

فقالت: ألا تَشتري لنا خادماً.

قال: سيأتيكِ أحوج ما تكونين![2].

---

(١) قطعة ذهبية واحدة. أي: دينار واحد.

(٢) يريد: في يوم القيامة. والقصة في «حلية الأولياء» ١: ٢٤٥ ـ ٢٤٦ لأبي نُعَيم الأَصفهاني.

١

فضيلة نشر العلم

دَخَلَ الإمامُ عبدُ الله بنُ وَهْبٍ المِصْريُّ مدينةَ الإسكندرية مُرابِطاً[1]، فاجتمع الناسُ عليه يسألونه نَشْرَ العلم، فقال: هذا بلدُ عبادة... وأقبل على العبادة والحِراسة.

وبعد يومين أتاه إنسان فأخبره أنه رأى نفسه في مسجدٍ عظيمٍ نحوِ المسجد الحرام، والنبيُّ ﷺ فيه، وأبو بكرٍ عن يمينه وعمرُ عن شِماله،

(١) المرابط: هو من لازم الإقامة في الثُّغور، والثغور هي البلاد التي تسمى في عرفنا اليوم (الحدود) بين الدولة المسلمة والدولة الكافرة. وأجر المرابطة كأجر الجهاد في سبيل الله.

وأنتَ بين يَدَيْه، وفي المسجد قناديلُ تَزْهَرُ أحسنَ شيء وأشدَّها ضياءً، إذْ خَفَتَ منها قِنْديلٌ، فانطفأ، فقال لك رسول الله ﷺ: قُمْ يا عبد الله أَوْقِدْه. فأوقدتَه. ثم آخَرُ كذلك.

ثم أقمتُ أياماً فرأيتُ القناديل كلَّها همَّتْ أنْ تَطْفَأَ! فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تَرَى هذه القناديلَ! فقال ﷺ: هذا عملُ عبد الله، يريد يُطْفِئُها!.

فبكى ابن وهب. قال له الرجل: جئتُ لأبشِّرك، ولو علمتُ أنه يَغُمُّك لم آتِكَ. فقال ـ ابن وهب ـ: خير. هذه الرؤيا وُعِظَتْ بها نفسي، ظننتُ أن العبادة أفضلُ من نشر العلم.

فترك كثيراً من عمله للعلم، وحَبَس نفسَه لهم يقرأون عليه ويسألونه[1].

---

(١) الخبر من «ترتيب المدارك» ٢: ٤٢٦ للقاضي عياض رحمه الله.

اجتهاد الأئمة في البحث

قال المُزَنيُّ ـ أو الربيع ـ:

كنا يوماً عند الشافعي بين الظهر والعصر، عند الصحن في الصفَّة، والشافعيُّ قد استندَ، إما قال: إلى الأُسْطُوانة، وإما قال: إلى غيرها، إذْ جاء شيخٌ عليه جُبَّةُ صُوفٍ، وعمامةُ صوفٍ وإزارُ صوف، وفي يده عُكَّازُه، قال: فقام الشافعيُّ وسوَّى عليه ثيابَه، واستوى جالساً، قال: وسلَّم الشيخُ وجَلَس، وأخذَ الشافعيُّ ينظر إلى الشيخ هيبةً له.

إذْ قال له الشيخ : أسأل؟ .

قال الشافعي : سَلْ .

قال : أَيْشٍ الحجةُ في دين الله؟ .

فقال الشافعيُّ : كتابُ الله .

قال : وماذا؟ .

قال : وسُنَّة رسول الله ﷺ .

قال : وماذا؟ .

قال : اتفاقُ الأمة .

قال ـ الشيخ ـ : ومنْ أينَ قلتَ اتفاقُ الأمة؟ .

قال ـ الشافعيُّ ـ : من كتاب الله .

قال : مِن أين في كتاب الله؟ .

قال : فتدبَّرَ الشافعيُّ ساعةً .

فقال الشيخ : قد أجَّلْتُك ثلاثة أيـام وليالِيَهـا ، فإنْ جئتَ بحجةٍ من كتـاب في الاتفاق ، وإلا تُبْ إلى الله عز وجل .

قال : فتغيَّر لونُ الشافعيِّ . ثم إنه ذهب ، فلم

يخرجْ ثلاثةَ أيام ولياليَهنَّ.

قال: فخرج علينا في اليوم الثالث في ذلك الوقت، يعني بين الظهر والعصر، وقد انتفخَ وَجْهُه ويداه ورجلاه، وهو مِسْقامٌ[1]، فجلسَ، قال: فلم يكنْ بأسرعَ مِنْ أنْ جاء الشيخ، فسلَّم وجلسَ، فقال: حاجتي!.

فقال الشافعيُّ: نعم، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل: ﴿ومَنْ يُشَاقِقِ الرسولَ مِنْ بعدِ ما تبيَّن له الهُدَى وَيَتَّبِعْ غيرَ سَبيلِ المؤمنينَ نُوَلِّه ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جهنَّمَ وَسَاءَتْ مَصيراً﴾: لا يُصْلِيه على خلافِ المؤمنين إلا وهو فرضٌ.

فقال: صدقتَ، وقام وذهب.

قال المُزَنيُّ ـ أو الربيع ـ: قال الشافعي: لما

---

(١) ممتلىء سَقَماً ومَرَضاً.

ذهب الـرجل قـرأتُ القرآنَ في كـلِّ يـومٍ وليلةٍ ثلاثَ مراتٍ حتى وَقَفْتُ عليه[1].

(١) من «طبقـات الشافعيـة الكبرى» ٢ : ٢٤٣ للسبْكي، تـرجمـة محمـد بن عُقَيل الفِـرْيابي. وقـال آخـر القصـة: «سنـد هـذه الحكاية صحيح لا غبار عليه».

٣

أثر اللقمة الحلال وسواها

كان الإمام أبو محمد الجُوَيني قد اكتسب من عمل يده مالاً خالصاً من الشُّبهة، تزوَّجَ به، فلما وُلد له ـ ولَده الذي عُرِف فيما بعد بإمام الحرمين ـ حَرَص على أن لا يُطْعمَه ما فيه شُبْهة، فلم يمازج باطنَه إلا الحلالُ الخالصُ.

حتى يُحكى أن ـ إمام الحرمين ـ تلجْلج[1] مرةً في مجلسِ مناظرةٍ، فقيل له:

(١) تلجلج: تردد في الكلام.

يا إمام ما هذا الذي لم يُعْهَد منك؟!.

فقال: ما أَراها إلا آثارُ بقايا المَصَّة.

قيل وما نَبَأُ هذه المصَّة؟.

قال: إنَّ أُمي اشْتَغَلَتْ في طعامٍ تَطْبُخُه لأبي، وأنا رضيعٌ، فبكيتُ، وكان عندنا جاريةٌ مُرْضعةٌ لجيراننا، فأَرْضَعَتْني مَصَّة أو مَصَّتين، ودخل والدي فأنكرَ ذلك وقال:

هذه الجارية ليست مِلْكاً لنا، وليس لها أن تتصرَّف في لَبَنها، وأصحابُها لم يأذنوا في ذلك!.

وقَلَبني وفوَّعَني[1] حتى لم يَدَعْ في باطني شيئاً إلا أخرجه، وهذه اللَّجْلَجة من بقايا تلك الآثار[2].

---

(١) هكذا في المصدر المنقول عنه، ولم يتبين لي معناها، ولعلها محرَّفة عن: فرَّغني، بقرينة تتمة الكلام.

(٢) من «الطبقات الكبرى» للسُّبْكي ٥: ١٦٨.

من حُفّاظ الإسلام

الإمام البخاري

- ١ -

قال حاشد بن إسماعيل: كان أبو عبد الله محمدُ بنُ إسماعيلَ ـ البخاريُّ ـ يختلِف معنا إلى مشايخ البصرة ـ وهو غلامٌ ـ فلا يَكْتبُ، حتى أَتَى على ذلك أيامٌ، وكنا نقولُ له:

إنك تَخْتلِف معنا ولا تكتبُ، فما معناك فيما تصنع؟[1]. فقال لنا بعد سِتَّةَ عَشَرَ يوماً:

إنكما قد أكثرتُما عليَّ وألْحَحْتُما، فاعْرِضا عليَّ ما كتبتُما،فأخرجْنا ما كان عندنا، فزاد على

---

(١) تختلف معنا: تتردد معنا وتذهب إلى العلماء. ومعناك: قَصْدُك.

خمسةَ عَشَرَ ألفَ حديثٍ، فقرأها كلَّها عن ظهر قلب، حتى جَعَلْنا نُحْكِمُ كُتُبَنا على حفظه. ثم قال:

أَتَرَوْنَ أني أختلفُ هَذْراً[1] وأُضيِّعُ أيامي؟!.

فعرفنا أنه لا يتقدَّمه أحد[2].

---

(١) أتردد إلى علماء الحديث عَبَثاً وباطلاً.

(٢) من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٢: ١٤ ـ ١٥.

محاسبةُ الإمام البخاري نفسَه

- ٢ -

قال محمد بن أبي حاتم وَرَّاقُ البخاري:

رأيتُ البخاريَّ استلقَى، ونحن بِفِرَبْرَ في تصنيفِ كتابِ التفسيرِ، وكانَ أَتعبَ نفسَه في ذلك اليوم في التخريج، فقلت له: إني سمعتُك تقول: ما أتيتُ شيئاً بغير علم، فما الفائدةُ في الاستلقاء؟.

قال: أتعبتُ نفسي اليومَ، وهذا ثَغْرٌ، خشيتُ أن يَحْدُثَ حَدَثٌ من أمر العدوِّ، فأحببتُ أن

أستريحَ وآخُذَ أُهْبَةً، فإنْ غافَصَنا العدوُّ كان بنا حَرَاك[1].

---

(١) من «مقدمة فتح الباري» ٢ : ٢٥٢. وغافصنا: فاجأَنا.

وفي القصة من الفوائد: محاسبةُ الإمام البخاري نفسَه على كلِّ حركة وسكنة أن تكون بنيَّةٍ صالحة وعلى وَفْق العلم الشرعي، ولاحِظْ كيف أن وَرَّاقَه يراقبُه حتى أمسكَ عليه هذه الحركة التي ظنَّ أن البخاري ليس له فيها قصد شرعي ونيةٌ صالحة، فأمكن من نفسه، وتمكَّنَ من مؤاخذته! وإذا به لا يظفرُ بشيء مما ظنَّ، وأن الإمام البخاريَّ فوق ذلك بكثير، فما يتحرك حركةً إلا بنية له فيها عَظيمُ الأجر، حتى الاستلقاء!! فرحمه الله ورضي عنه، ووفقنا للاقتداء به.

الإمام البخاري
الرامي الماهر الورع

- ٣ -

قال محمد بن أبي حاتم ورَّاق البخاري:

كـان أبو عبـدالله البخاري يـركب إلى الرمي كثيراً، فما أعلم أني رأيتُـه في طولِ مـا صحبتُه أخطأَ سهمُه الهـدفَ إلا مرتين، بـل كان يصيب في ذلك ولا يُسبَق.

وركبنـا يـومــاً إلى الـرمي، ونحن بـفـرَبْـرَ، فخـرجنا إلى الـدَّرب الـذي يؤدِّي الفُـرْضَـة[1]،

---

(١) كأنه يريـد فُرْضـة نهر هنـاك؟ وفرضـة النهر: طَـرَفه وحَـرْفـه المفتوح.

فجعلنا نرمي، فأصاب سهمُ أبي عبدالله وَتِدَ[1] القَنْطرة التي على النَّهَر، فانشقَّ الوَتِد، فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد، وترك الرميَ وقال لنا: ارجِعوا، فرجعْنا، فقال لي: يا أبا جعفر لي إليك حاجة، وهو يتنفَّسُ الصُّعَداء[2]. فقلت: نعم. قال: تذهب إلى صاحبِ القنطرةِ فتقولُ: إنا أخللنا بالوتد، فنحبُّ أن تأذنَ لنا في إقامة بَدَلِه، أو تأخذَ ثمنَه وتجعلَنا في حِلٍّ مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر.

فقال لي: أبلغْ أبا عبدالله ـ البخاريَّ ـ

---

(١) الوتَدِ: بكسر التاء وفتحها وسكونها: قطعة خشبية قوية يكون عليها ثِقَل الخيمة والقنطرة وما شابه ذلك.

(٢) تَنَفُّسُ الصعَداء: هو التنفُّس الطويل، وكان ذلك منه لما حصل في الوتد من تصدُّعٍ بسبب رميه، وحصولِ خللٍ في مصلحة عامة للمارَّة على قنطرة النهر.

السلامَ وقل لـه: أنت في حِلّ مما كان منـك، فإن جميع ملكي لك الفداء.

فأبلغْتُه الرسالـة، فتهلَّل وجهه وأظهـر سروراً كثيـراً، وقـرأ ذلـك اليـوم للغـربـاء خمسمـائـة حديث، وتصدَّق بثلاثمائة درهم[1].

---

(١) المصدر السابق.

شرف أصحاب الحديث

١

أبو زُرْعة الرازي

١ ـ رَوَى ابنُ عساكرٍ في «تاريخ دمشق» عن أبي العباس المُرادي قال: رأيتُ أبا زُرْعَة في النوم فقلت:

ـ ما فَعَلَ الله بك؟.

قال: لقيتُ ربي فقال لي: يا أبا زُرْعة إني أُوتَى بالطِّفل فآمرُ به إلى الجنة، فكيف بمن حَفِظ السُّنَنَ على عبادي؟! تَبَوَّأْ من الجنة حيثُ شئتَ[١].

٢ ـ وَرَوَى أيضاً عن حفص بن عبد الله

---

(١) من مقدمة «كنز العمال» للمتَّقي الهندي ١: ١١.

قال: رأيتُ أبا زرعـةَ في النوم بعـد موتـه يصلي في سماء الدنيا بالملائكة، قلت:

ـبمَ نِلْتَ هذا؟.

قـال: كتبتُ بيـدي ألفَ ألفِ حـديثٍ أقـولُ فيهـا: عن النبي ﷺ، وقد قـال النبي ﷺ: «من صلَّى عليّ صلاةً صلى الله عليه عشراً»[1].

---

(١) المصدر السابق نفسـه. والحديث رواه مسلم وغيـره عن أبي هريرة.

٢

سيِّدُ أهلِ الحديث

قال أبو نصرٍ الواعظ: رأيت النبيَّ ﷺ في المنام مع أصحابه قاصداً لعيادة الأُستاذ أبي سهل ـ محمد بن سليمان الصُّعْلوكي ـ وكان مريضاً، قال ـ أبو نصر ـ: فَتَبِعْتُه، ودخلتُ عليه معه، وقعدتُ بين يدي النبي ﷺ متفكِّراً، فقلت في نفسي ـ:

إن هذا ـ أبا سهل ـ إمامُ أصحابِ الحديث، وإنْ مات أخشى أن يقع الخللُ فيهم!.

فقال رسول الله ﷺ لي: لا تُفَكِّر في ذلك،

إن الله لا يُضَيِّع عِصابةً[١] أنا سَيِّدُها![٢].

(١) العِصابة: الجماعة من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين.

(٢) من «طبقات الشافعية» للتاج السُّبْكي ٣: ١٧٠.

١

الإمام الحسن بن سُفيانَ النَّسَوي

من غريب ما اتفق له: أنه كان هو وجماعةٌ من أصحابه بمصرَ في رحلتهم إلى الحديث، فضاق عليهم الحال[1] حتى مكثوا ثلاثةَ أيام لا يأكلون فيها شيئاً، ولا يَجِدون ما يبيعونه لِلْقُوت، فاضْطَرَّهُمُ الحالُ إلى تَجَشُّمِ السؤال[2]، وأَنِفَتْ أنفسهم من ذلك، وعَزَّت عليهم وامتنعتْ كلَّ الامتناعِ، والحاجةُ

(١) أي: ضاقت عليهم النفقة، وواضحٌ من السياق أنها نَفِدت.
(٢) التَّجَشُّم: تَكَلُّف الشيء مع المشقَّة.

تَضطُّرهم إلى تعاطي ذلك، فاقتَرَعوا[1] فيما بينهم: أيُّهم يقومُ بأعباءِ هذا الأمرِ، فوقعت القُرْعةُ على الحسنِ بنِ سفيانَ هذا.

فقام عنهم، فاخْتَلى في زاوية المسجد الذي هم فيه، فصلَّى ركعتين أطال فيهما، واستغاث بالله عز وجل، وسأله بأسمائه العِظام، فما انصرف من الصلاة حتى دخل المسجدَ شابٌّ حسنُ الهيئة مليحُ الوجه فقال:

- أين الحسنُ بنُ سفيان؟.

فقلت: أنا.

فقال: الأميرُ طُوْلُونُ يقرأُ عليكم السلامَ ويعتذِرُ إليكم في تقصيره عنكم، وهذه مائةُ دينار لكل واحد منكم.

فقلنا له: ما الحاملُ له على ذلك؟.

---

(1) أي: ضربوا بينهم القُرْعة.

فقال: إنه أحبَّ أن يختليَ اليوم بنفسه، فبينما هو الآن نائمٌ إذْ جاءه فارسٌ في الهواء بيده رمحٌ فدخل عليه منزلَه، ووضع عَقِبَ الرُّمح في خاصرته فوَكَزَه، وقال:

قمْ فأدرِكِ الحسنَ بنَ سفيانَ وأصحابَه، قمْ فأدركْهم، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاثٍ جِياعٌ في المسجد الفلاني.

فقال له: مَن أنت؟.

فقال: أنا رِضوانُ خازنُ الجنة.

فاستيقظ الأمير وخاصرتُه تُؤْلِمه ألماً شديداً.

فبعث بالنفقة في الحال إليكم.

ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حولَ ذلك المسجد وَوَقَفَه على الواردين عليه من أهل الحديث. جزاه الله خيراً(١).

---

(١) من «البداية والنهاية» لابن كثير ١١: ١٢٤، ثم رأيتُ القصة في «سِيَر أعلام النبلاء» للذهبي ١٤: ١٦١ وتوقَّف في صحتها، ثم لم يجزم بشيء.

٢

الحافظ ابن عساكر الدمشقي

قال الحافظُ أبو عبد الله الفَرَاوي: قَدِمَ ابنُ عساكر ـ مدينةَ نيسابورَ ـ فقرأ عليَّ ثلاثةَ أيام، فأكثرَ وأَضْجَرَني، فآليتُ[1] على نفسي أنْ أُغلِقَ بابي.

فلما أصبحنا قَدِم عليَّ شخصٌ فقال:

أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك.

قلت: مرحباً بك.

فقال: قال لي في النوم: اِمْضِ إلى الفَرَاوي

(١) أقسمت وحلفت.

وقلْ له: قَـدِم بلدَكم رجلٌ شـامي أسمرُ اللون، يطلبُ حديثي، فلا تَمَلَّ منه.

فـوالله مـا كـان الفَـراويُّ يقــومُ ـ من مجلس الحديث ـ حتى يقومَ الحافظُ ـ ابن عساكر ـ[1].

---

(١) من «تذكرة الحفاظ» للذهبي ص: ١٣٣.

من أخلاقهم

١

الدين النصيحة

١ ـ أرسل أبو عبد الله جَريرُ بنُ عبد الله البَجَلي رضي الله عنه خادماً له ليشتريَ له فَرَساً، فاشترى له فَرَساً بثلاثمائة درهمٍ، وجاء بالفرس وبصاحبه إلى جرير لِيَنْقُدَه الثمنَ، فقال جريرٌ لصاحب الفرس:

فَرَسُك خيرٌ من ثلاثمائة درهم، أَتَبيعُه بأربعمائة درهم؟.

قال: ذاكَ إليك يا أبا عبد الله.

فقال ـ جرير ـ: فَرَسُك خيرٌ من ذلك، أَتبيعُه بخمسمائة درهم؟.

ثم لم يَـزَلْ يزيـدُه مـائـةً فمـائـةً، وصـاحبُـه يَرْضَى، وجريرٌ يقول: فرسك خيـرٌ، إلى أنْ بَلَغ ثمـانَمائـةِ درهمٍ ، فـاشتـراه بهـا، فقيـل لـه في ذلك؟[1] فقال:

إني بـايعتُ رسولَ الله ﷺ على النُّصْـح لكلِّ مسلم[2].

٢ ـ جاءت امرأة إلى يونسَ بنِ عُبَيد ـ وكـان يبيعُ الخَزَّ ـ بجُبَّةِ خَزٍّ، فقال لها: بكمْ هي؟.

قالت: بخمسِمائة ـ درهم ـ.

قال: هي خيرٌ من ذاك.

قالت: بستِّمائة.

قال: هي خيرٌ من ذلك.

فلم يزل يُدرِّجُها حتى بَلَغتْ ألفاً[3].

---

(١) أي: سئل عن سبب ذلك؟.

(٢) من «شرح مسلم» للنووي ٢ : ٤٠ .

(٣) من «تذكرة الحفاظ» ص: ١٤٥.

٢

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

قال الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري رحمه الله:

كنتُ مجاوراً بمكةَ حَرَسها الله تعالى، فأصابني يوماً من الأيام جوعٌ شديد لم أجدْ شيئاً أدفعُ به عني الجوعَ، فوجدتُ كيساً من إبْرِيْسَم[١] مشدوداً بشُرَّابة من إبْريسَمٍ أيضاً، فأخذتُه وجئتُ به إلى بيتي، فَحَلَلْتُه فوجدتُ فيه عِقْداً من لؤلؤ لم أرَ مثلَه. فخرجتُ فإذا الشيخُ ينادي عليه، ومعه خِرْقةٌ فيها خمسمائة

---

(١) هو الحرير.

دينـار وهـو يقـول: هـذا لمن يـردُّ علينـا الكيس الذي فيه اللؤلؤ.

فقلت ـ في نفسي ـ: أنا محتاجٌ، وأنا جائعٌ، فآخذُ هذا الذهبَ فأنتفعُ به، وأردُّ عليه الكيس.

فقلت له: تعالَ إليَّ، فـأَخَذْتُـه وجئتُ به إلى بيتي، فأَعطاني علامةَ الكيس، وعلامةَ الشُّرَّابة، وعلامةَ اللؤلؤ وعَدَدَه، والخيطَ الذي هـو مشدودٌ به، فأخرجته ودفعتُـه إليه فسلَّم إليَّ الخمسمـائة دينـــار، فمـا أخـــذتُهـا، وقلتُ: يجبُ عليَّ أن أُعيدَه إليك ولا آخذَ له جزاءً.

فقال لي: لا بدَّ أنْ تأخذ، وألـحَّ عليَّ كثيراً، فلم أَقْبَلْ ذلك منه، فَتَركني ومَضَى.

وأمـا مـا كـان مني: فـإني خـرجتُ من مكـةَ وركبتُ البحرَ، فانكسر المركبُ، وغَرِق الناسُ، وهَلَكتْ أمـوالُهم، وسَلِمتُ أنـا على قـطعـةٍ من المـركب، فبقيتُ مـدةً في البحــر لا أدري أين

أذهب، فوصلتُ إلى جزيـرة فيها قـومٌ، فقعدت في بعض المسـاجد، فسمعـوني أقـرأ، فلم يَبْقَ في تلك الجزيرة أحدٌ إلا جاء إليَّ وقال: علِّمْني القرآنَ. فَحَصَلَ لي من أولئك القوم شيءٌ كثيـر من المال.

قال: ثم إني رأيت في ذلك المسجـد أوراقاً من مُصْحف، فـأخذتُهـا أقرأُ فيهـا، فقالـوا لي: تُحسنُ تكتبُ؟ فقلت: نعم. فقـالـوا: علِّمنـا الخطَّ، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنتُ أُعَلِّمهم، فحصل لي أيضاً من ذلك شيءٌ كثير.

فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبِّيةٌ يتيمةٌ، ولها شيءٌ من الدنيا نريدُ أن تتـزوَّجَ بها، فـامتنعتُ، فقالوا: لا بدَّ وأَلزموني، فأجبتُهم إلى ذلك.

فلمـا زَفُّوهـا إليّ مـددتُ عيني انـظرُ إليهـا،

فوجدتُ ذلك العِقْدَ بعينه معلَّقاً في عُنُقِها، فما كان لي حينئذ شُغْلٌ إلا النظرُ إليه، فقالوا: يا شيخُ كَسَرْتَ قلبَ هذه اليتيمةِ من نظرك إلى هذا العقدِ ولم تنظُرْ إليها!!. فَقَصَصْتُ عليهم قصةَ العِقْد، فصاحوا وصَرَخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميعِ أهلِ الجزيرة!.

فقلت: ما بكم؟. فقالوا: ذلك الشيخُ الذي أخذ منك العِقْدَ أبو هذه الصبيَّة، وكان يقولُ: ما وَجَدتُ في الدنيا مسلماً إلا هذا الذي ردَّ عليَّ هذا العِقْد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمعْ بيني وبينه حتى أُزوِّجَه بابنتي. والآن قد حصلت.

فبقيت معها مدةً، ورُزقتُ منها بولَدَيْن، ثم إنها ماتَتْ فورثتُ العقدَ أنا وولداي، ثم مات الوَلَدان فحصل العِقْدُ لي، فبعتُه بمائة ألفِ

دينــار، وهذا المــالُ الذي تَـرَوْنَه معي من بقَــايَا ذلك المال[1].

---

(١) من «ذيل طبقات الحنابلة» ١ : ١٩٦ لابن رجب الحنبلي.

أبو جعفر المنصور أمام القاضي

قال نُمَيرٌ المدنيُّ:

قَدِم علينا أميرُ المؤمنين المنصورُ المدينةَ، ومحمدُ بنُ عِمْرانَ الطَّلْحيُّ على قضائه، وأنا كاتبُه. فاسْتَعْدَى[1] الحمَّالون على أمير المؤمنين في شيءٍ ذكروه، فأَمَرَني أنْ أكتبَ إليه كتاباً بالحضورِ معهم، أو إنصافِهم.

فقلتُ: تُعْفِيني من هذا، فإنه يَعرفُ خطِّي!.

فقال: اكتُبْ. فكتبتُ، ثم خَتَمه وقال: لا يمضي به ـ والله ـ غيرُك.

---

(١) اشتكى عليه.

فمضيتُ إلى الـربيع، وجعلتُ أعتـذِرُ إليـه.

فقال: لا بأسَ عليك، فدخل عليه بالكتاب، ثم خرج الربيع فقال للناس ـ وقد حَضَر وجوهُ أهلِ المدينة والأشرافُ وغيرُهم ـ:

إن أميـر المؤمنين يقرأُ عليكم السـلامَ ويقولُ لكم: إني قـد دُعيتُ إلى مجلس الحكم فـلا أعلمنَّ أحـداً[1] قـام إليَّ إذا خـرجتُ وبـدأني بالسلام.

ثم خرج[2] والمسيَّب بين يديه، والربيـعُ وأنا خَلْفَه، وهو في إزارٍ ورداءٍ، فسلَّم على النـاس، فمـا قام إليـه أحدٌ، ثم مضى، حتى بـدأ بالقبـر فسلَّم على رسول الله ﷺ، ثم التفتَ إلى الربيع فقال:

---

(١) لا أرى أحداً.

(٢) وتـوجَّه إلى المسجـد النبوي الشـريف حيث مجلسُ القضـاء والحكم.

يـا ربيـعُ ، وَيْحـك[1] أخشى إنْ رآني ابنُ عمران تدخلُ قلبَه هيبـةٌ، فيتحوَّلَ عن مجلسـه، وبالله لئنْ فَعَل لا وُلِّيَ لي وِلايةً أبداً.

فلما رآه ـ وكان متَّكئاً ـ أطلق رداءَه عن عاتقه ثم احْتَبَى[2] به، ودعا بـالخصوم الحمَّـالين، ثم دعـا بـأميـر المؤمنين، ثم ادَّعى عليـه القـومُ، فقضى لهم عليه.

فلمـا دخل ـ أبـو جعفر ـ الـدار قال للربيـع: اذهبْ، فـإذا قام وخـرج مَنْ عنده من الخصـوم فادْعُه. فقال: يا أمير المؤمنين ما دعـاك إلا بعد أن فَـرَغَ من أمرِ النـاسِ جميعاً. فـدعاه، فلمـا دخل عليه سلَّم، فقـال ـ أبو جعفـر للقاضي ـ:

---

(١) ويحك: كلمة ترحُّم. أما ويلك: فكلمة هلاك.

(٢) أي: نصب ركبتيـه وأدار إزاره من وراء ظهـره إلى ركبتيـه وعَقَده عليهما، ليستـريح في جِلْستـه، كالمستنـد إلى جدار. وهذه جِلْسة مَن لم يتكلَّف أمام جليسه.

جــزاك الله عــن دِينــك، وعــن نبيِّــك، وعــن حَسَبك[1]، وعن خليفتك أحسنَ الجزاءِ، قد أمرتُ لك بعَشَرة آلافِ دينارٍ، فاقْبِضْها.

فكانت عامةُ أموالِ محمدِ بنِ عمرانَ مِن تلك الصِّلَة[2].

---

(١) الحَسَب هنا: المفاخر من جهة آباء الرجل، والقاضي هذا منسوب إلى طلحةَ بنِ عبيد الله أحدِ الصحابة الأجلاء العشرة المبشرين بالجنة.

(٢) الصِّلَة: الهدية. والقصة من «الجليس الصالح الكافي، والأنيس الناصح الشافي» للمُعَافَى بن زكريا النَّهْرواني ٢: ٢٨.

١

عاقبة المعاصي والعُصاة

قال أبو محمدٍ ـ ابنُ قُتَيْبَةَ ـ: وحدَّثني رجلٌ من أصحاب الأخبار أن ـ أبا جعفرٍ ـ المنصورَ سَمَرَ ذاتَ ليلةٍ، فَذَكَرَ خُلَفاء بني أمية وسِيرتَهم، وأنهم لم يزالوا على استقامةٍ حتى أَفْضَى أمرُهم إلى أبنائهم المُتْرَفين[1]، فكان همُّهم مِن عظيمِ شأنِ الملك وجلالة قَدْره قصدَ الشهواتِ، وإيثارَ اللذاتِ، والدخولَ في معاصي الله عز وجل ومَسَاخِطِه، جهلاً منهم باستدراجِ الله تعالى،

(١) في «القاموس المحيط»: «أَتْرَفَتْه النِّعمة: أَطْغَتْه».

وأمناً مِنْ مَكْرِه تعالى، فَسَلَبَهم الله تعالى الملكَ والعزَّ، ونَقَلَ عنهم النعمة.

فقال صالح بن علي لأبي جعفر: يا أمير المؤمنين إن عبد الله[1] بن مروان لما دَخَل أرضَ النُّوبة هارباً فيمن اتَّبَعه، سأل ملكُ النُّوبة عنهم، فأُخبر، فركب إلى عبد الله فكلَّمه بكلام عجيب في هذا النَّحْو لا أحفظُه، وأَزْعَجَه[2] عن بلده، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أَنْ يدعوَ به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأَله عن ذلك.

فأمر المنصورُ بإحضاره، وسأله عن القِصة.

---

(١) هو الصواب. وفي «تأويل مختلف الحديث»: «عبيد الله» وهو تحريف، فإن عبيدالله قُتل، وعبدالله نجا من القتل. انظر «الكامل» لابن الأثير ٥: ٤٢٧.

(٢) أي: أخرجه.

فقال: يا أمير المؤمنين قَدِمتُ أرضَ النُّوبة بأثاثٍ سَلِم لي فافترشْتُه بها وأقمتُ ثلاثاً، فأتاني ملكُ النُّوبة ـ وقد خَبَر أمرَنا ـ فَدَخَل عليَّ رجلٌ طُوالٌ، أقنى[1]، حسنُ الوجه، فقعد على الأرض ولم يَقْرَب الثياب.

فقلت: ما يمنعُك أن تقعُد على ثيابنا؟.

فقال: إني ملِكٌ، وحَقٌّ على كلِّ ملكٍ أنْ يَتَواضع لعظمة الله جلَّ وعزَّ إذْ رَفَعَه الله!.

ثم أقبل عليَّ فقال لي: لِمَ تَشْربون الخُمور، وهي مُحَرَّمة عليكم في كتابكم؟.

فقلت: اجْتَرأَ على ذلك عبيدُنا وسُفَهاؤنا.

قال: فلمَ تَطؤون الزُّروع بدوابِّكم، والفسادُ محرَّم عليكم في كتابكم؟.

قلت: يفعلُ ذلك جُهَّالُنا.

---

(١) مرتفِع أعلى الأنف مع احديدابِ وسطِه.

قال: فلمَ تَلْبَسون الدِّيباجَ والحريرَ وتَسْتَعملون الذهب والفِضَّة، وهو محرَّم عليكم؟.

فقلت: زال عنا المُلْك، وقلَّ أنصارُنا، فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكُرْه منا.

فأَطرقَ مَلِيّاً[1]، وجَعَلَ يقلِّب يده ويَنكُتُ في الأرض، ثم قال: ليس ذلك كما ذكرتَه، بل أنتم قوم اسْتَحْلَلْتم ما حُرِّم عليكم، وركبتم ما عنه نُهيتم، وظَلَمتم فيما مَلَكْتم، فَسَلَبَكم الله العزَّ، وألبسكم الذُّلَّ بذنوبكم، ولله تعالى فيكم نِقمةٌ لم تَبْلُغْ نهايتَها، وأخافُ أن يَحِلَّ بكم العذابُ وأنتم ببلدي، فَيُصيبَني معكم، وإنما

(١) مدة طويلة.

الضيافةُ ثلاثٌ، فَتَزَوَّدوا ما احْتَجْتُم إليه، وارتحِلوا عن بلدي.

ففعلتُ ذلك[1].

---

(١) من «تأويل مختلف الحديث» ص: ٣١٩ و«عيون الأخبار» ١: ٢٠٥ كلاهما لابن قتيبة، و«سراج الملوك» للطُّرْطُوشي ص: ١١٢.

٢

حوار بين عالم وأمير

قال الضَّحَّاكُ بنُ مُوسى: مرَّ سليمانُ بنُ عبدِ الملك بالمدينة ـ المنورة ـ وهو يريدُ مكةَ، فأقام بها أياماً، فقال:

هل بالمدينة أحدٌ أدرك أحداً من أصحابِ النبيِّ ﷺ؟.

فقالوا له: أبو حازم ـ سَلَمةُ بنُ دينارٍ المخزوميُّ ـ.

فأرسل إليه، فلما دَخَل عليه قال له ـ سليمان ـ:

يا أبا حازمٍ ما هذا الجَفاءُ؟.

قــال أبو حــازم: يا أميــر المؤمنين وأيَّ جَفَـاءٍ رأيتَ مني؟.

قال: أتاني وجوهُ أهلِ المدينة ولم تأتني!.

قال: يا أمير المؤمنين أُعيذُك بالله أنْ تقولَ ما لم يكن! مـا عـرفتَني قبـلَ هـذا اليـوم، ولا أنـا رأيتُك!.

فــالتفت سليمــانُ إلى محمــد بنِ شهــابٍ الزُّهريِّ فقال:

ـ أصاب الشيخ وأخطأتُ.

قــال سليمـان: يـا أبـا حــازم مـا لَنــا نكـرهُ الموتَ؟.

قال: لأنكم أَخْرَبْتُم الآخـرةَ وعَمَرتُم الـدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العُمران إلى الخراب.

قال: أصبتَ، فكيف القدومُ غداً على الله؟.

قــال: أمـا المُحْسِنُ فكـالغـائب يَقــدَم على أهله، وأما المسيءُ فكالآبِق يقدَم على مولاه.

فبكى سليمان، وقال:

ليتَ شِعْري! ما لَنا عند الله؟.

قال: اعرِضْ عَمَلَك على كتاب الله.

قال: وأيَّ مكان أجدُه.

قال: «إن الأبرار لَفي نَعيم، وإن الفُجَّار لَفي جَحيم».

قال سليمان: فأين رحمةُ الله يا أبا حازم؟.

قال أبو حازم: رحمةُ الله قريبٌ من المحسنين.

قال سليمان: فما تقولُ فيما نحن فيه؟.

قال: يا أمير المؤمنين أوَ تُعفيني؟.

قال له سليمان: لا، ولكنْ نصيحةٌ تُلْقيها إليّ.

قال: يا أمير المؤمنين إن آباءَك قَهَروا الناسَ بالسيف، وأَخَذوا هذا المُلْك عَنْوةً[1] على غير

---

(١) قهراً وغصباً.

مَشُـوْرَة من المسلمين ولا رضا لهم، حتى قَتَلوا منهم مَقْتلة عـظيمـة، فقـد ارتَحَلوا عنهـا، فلو شَعَرتَ ما قالوه وما قيل لهم!.

فقال له رجـلٌ من جُلَسائـه: بِئْسَ ما قلتَ يـا أبا حازم!.

قـال أبو حـازم: كذبتَ! إن الله أَخَـذَ ميثـاقَ العلماء لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يَكْتُمونه!.

قـال له سليمـان: هل لـكَ يا أبـا حـازمٍ أن تَصْحَبَنا فتُصيبَ منا ونُصِيبَ منك[1].

قال: أَعوذُ بالله!.

قال له سليمان: ولِمَ ذاك؟.

قـال: أخشى أن أَرْكَنَ إليكم شيئاً قليـلاً، فَيُذِيقَني الله ضِعْفَ الحياةِ وضِعْفَ المَماتِ!.

قال ـ سليمان ـ: فادْعُ لي.

---

(١) أي: تستفيد منا ونستفيد منك.

قال أبو حـازم: اللهم إن كان سليمـانُ وليَّك فيسِّرْه لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوَّك فَخُذْ بناصيته إلى ما تحبُّ وترضى.

قال له سليمان: قَطْ؟.

قال أبو حـازم: قد أوجـزتُ وأكثرتُ إن كنتَ من أهله، وإن لم تكنْ من أهله فمـا ينفعُني أن أرميَ عن قوسٍ ليس لها وَتَر[1].

فلمـا خرج أبـو حازمٍ من عنـد سليمانَ بعث إليـه بمـائـةِ دينـارٍ وكتب إليـه: أنْ أَنفِقْهـا ولـك عندي مثلُها كثير، فردَّها عليه وكتب إليه:

---

(١) كناية عن أنه دعاء عبث لا فائدة فيه. وذلك أن السهم يُـرمَى عن القوس إذا كان للقوس وَتَر يُشَدُّ عليه السهم شَدّاً قوياً، ثم يتـرك سريعـاً، فيدفـع الوتـرُ السهـمَ دفعاً بمقـدار شدِّه، فينفُـذُ السهم عن القوس نفاذ الريح. فإذا لم يكن للقوس وترٌ يَدفـعُ السهمَ عنها لينفذ: فلا فائدة، بل ولا رماية! وهذا ما يريده أبو حازم.

يا أمير المؤمنين أُعيذُك بالله أن يكون سؤالُك إياي هَزلاً، أو رَدِّي عليك بذلاً، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي.

وكتب إليه أيضاً:

إنْ كانت هذه المائة دينار عوضاً لما حدّثتُ: فالمَيْتةُ والدمُ ولحمُ الخِنْزير في حال الاضطرار أحلُّ من هذه[1]، وإنْ كانت لحقٍّ في بيت المال: فلي فيها نُظَراءُ، فإن ساويتَ بيننا، وإلا فليس لي فيها حاجة[2].

(١) لأن نُصحَ أبي حازم يكون حينئذ من قبيل: بيع الدين بالدنيا، ولا أقبح من ذلك.

(٢) من «سنن الدارمي» ١ : ١٥٥ ـ ١٥٨ باختصار شديد.

٣

وقايةُ الله أَغْنَتْ

قال محمدُ بنُ يزيدَ الأنصاري:

بعثني عمرُ بنُ عبد العزيزِ حين وُلِّي، فأَخرجتُ مَن في السُّجون مِن حَبْس سليمان، ما خلا يزيدَ بنَ أبي مسلم، فنَذَر - يزيدُ - دمي[1]..

فلما مات - عمر بن عبد العزيز - ولَّاه يزيد بن عبد الملك إفْرِيقيَّة وأنا بها، فأُخِذتُ، فأُتي بي في شهر رمضان عند الليل، وفي يدِ يزيدَ بنِ أبي مسلم عُنقودُ (عنبٍ) فقال:

---

(١) أي: أهدر دمي.

ـ محمدُ بنُ يزيد؟.

قلت: نعم.

قال: الحمد لله الذي أمكن منك بلا عَهْد ولا عَقْد[1]، فطالما سألتُ الله أنْ يُمَكِّنني منك.

قلت: وأنا طالما سألتُ الله أن يُعيذَني منك.

قال: فوالله ما أعاذك الله مني، والله لو أن مَلَك الموتِ سابَقني إليك لسَبَقْتُه. (والله لا أكلتُ هذه الحبةَ حتى أقتلَك).

وأُقيمت ـ صلاة المغرب (فوضع يزيدُ العُنقودَ وتقدَّم ليصلِّي) فصلَّى ركعةً، فثار به الجُنْد فقتلوه، وقالوا ـ لمحمدبن يزيد ـ: خذ أيَّ الطريقِ شئتَ[2].

---

(١) يريد: أنه تمكَّن من قتله دون اتفاق مع آخرين على تيسير الوصول إلى قتله، ودون محاولة منه للوصول إلى ذلك، إنما هو شيءٌ كان يتمنَّاه فحصل عليه.

(٢) الخبر في «تاريخ خليفة بن خياط» ٢ : ٤٧١ ـ ٤٧٢، و«سراج الملوك» للطرطوشي، وما بين الهلالين من زياداته.

نداءُ الكريمِ عبادَه

١

قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه:

ما مِنْ ليلةٍ اختلط ظلامُها، وأَرْخَى الليلُ سِرْبالَ سِتْرها[1] إلا نادى الجليلُ جلَّ جلاله:

مَنْ أَعْظَمُ مني جُوداً، والخلائقُ لي عاصون، وأنا لهم مراقبٌ، أَكْلَؤُهم في مضاجعهم كأنهم لم يَعْصُوني، وأَتَوَلَّى حفظَهم كأنهم لم يُذْنبوا فيما بيني وبينهم، أجودُ بالفضل على العاصي، وأتفضَّلُ على المسيء.

---

(١) السربال: القميص. يريد: استكمال ظلام الليل وشموله الأشياء بالظلمة، وإحاطته بها، كما يشمل القميصُ لابسَه.

مَنْ ذا الذي دعاني فلم أسمعْ إليه؟.
أو مَنْ ذا الذي سألني فلم أُعْطِه؟.
أو مَنْ ذا الذي أَناخَ ببابي ونَحَّيْتُه؟.

أنا المُفْضِلُ، ومني الفضل. أنا الجَوَاد ومني الجود. أنا الكريم ومني الكرم.

ومِنْ كرمي أن أَغْفِرَ للعاصي بعد المعاصي.
ومن كرمي أن أُعطيَ التائبَ كأنه لم يَعْصِني.
فأين عني تَهْرُبُ الخلائق؟ وأين عن بابي يَتَنحَّى العاصون[1].

---

(١) الخبر في «حلية الأولياء» ٨: ٩٢ ـ ٩٣، ونقله الحافظ ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

نداء الكريم عباده

٢

في بعض الإسرائيليات:

يقول الله عز وجل: أَيُؤَمَّلُ غيري للشدائد والشدائدُ بيدي، وأنا الحيُّ القَيُّوم؟! ويُرْجَى غيري ويُطْرَقُ بابُه بالبُكُرات[١] وبيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوحٌ لمن دعاني؟!.

من ذا الذي أمَّلني لنائبة فَقَطَعْتُ به؟! أو مَن ذا الذي رَجَاني لعظيم فقطعتُ به؟!. أو من ذا الذي طَرَق بابي فلم أفْتَحْه له؟!.

أنا غايةُ الآمالِ، فكيف تنقطع الآمال

---

(١) البكرات: جمع بُكْرة، وهي أول النهار. والمراد: أن السائلين يسألونه من أول النهار مبكِّرين.

دوني؟! أبخيلٌ أنا فيبخِّلَني[1] عبدي؟! أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كلُّه لي، فما يمنعُ المؤمِّلين أن يؤمِّلوني؟!.

لو جَمَعْتُ أهلَ السموات والأرض ثم أعطيتُ كلَّ واحد منهم ما أعطيتُ الجميعَ، وبلَّغْتُ كلَّ واحدٍ منهم أَمَلَه، لم يَنْقُصْ ذلك من مُلْكي عضوُ ذَرَّة، كيف يَنْقُص مُلْكٌ أنا قَيِّمُه[2]؟!.

فيا بُؤْسَاً للقانطين من رحمتي[3]! ويا بُؤْسَاً لمن عَصَاني وَتَوثَّب على محارمي[4]!.

---

(١) بَخَّلَه: نسبه إلى البخل، وليس ببخيل.

(٢) القيِّم: القائم بالأمر، فهو تعالى قائم بأمور خلقه مدبِّر لها مالك لها، وجودُها واستمرار وجودها بالله تعالى، فكيف يَنقص ملك هو خالقه ومدبِّره.

(٣) البؤس: العذاب، وألوانه، ومنها: الذل والفقر. والقانط: اليائس.

(٤) توثب: تَجرَّأَ. والنقل من «جامع العلوم والحكم» ص ٢٠١.

نصائح

١

لماذا لا يُستجاب دعاؤنا

قيل لإبراهيمَ بنِ أدهمَ: ما بالُنا ندعو فلا يُستجابُ لنا، وقد قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لكم﴾؟.

قال: لأن قلوبَكم ميتةٌ.

قيل: وما الذي أماتَها؟.

قال: ثمانِ خصالٍ:

١ ـ عَرَفْتم حقَّ الله ولم تقوموا بحقِّه.

٢ ـ وقرأتُمُ القرآنَ ولم تَعْمَلوا بحدوده.

٣ ـ وقلتم: نحبُّ رسولَ الله ﷺ، ولم تَعْمَلوا بسنتَّه.

٤ ـ وقلتم: نخشى المــوتَ، ولم تَسْتَعِـدّوا له.

٥ ـ وقـال تعالى: ﴿إنَّ الشيـطانَ لكم عَـدُوٌّ فاتَّخِذوه عَدُوّاً﴾ فواطأْتُمُوه على المعاصي.

٦ ـ وقلتم: نخـافُ النار، وأَرْهَقْتُم أبـدانَكُم فيها[1].

٧ ـ وقلتم: نحبُّ الجنةَ، ولم تعملوا لها.

٨ ـ وإذا قمتم مِن فُــرُشكم رَمَيْتم عيــوبَكم وراءَ ظُهُوركم، وافْتَرَشْتم عيوبَ الناس أمامَكم، فأسْخَطْتم ربَّكم، فكيف يَستجيبُ لكم؟![2].

---

(١) أسرعتم بأنفسكم إلى ما فيه عذابها وتعبها.

(٢) من «إحياء علوم الدين» للإمام الغـزالي ٣: ٣٣ كتاب شـرح عجائب القلب: بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب.

١

القاضي إياس بن معاوية المُزَني

جاء رجلان إلى إياس بن معاوية يَخْتصمان في قَطيفتَيْن[١]، إحداهما حَمراءُ، والأخرى خضراء، فقال أحدُهما: دخلتُ الحوضَ لأغتسلَ، ووضعتُ قَطيفتي، وجاء فوضع قَطيفتَه تحت قَطيفتي، ثم دخلَ فاغتسلَ، فخرج قَبْلي، فأخذَ قَطيفتي فمضى بها، ثم خَرجتُ فَتَبِعْتُه، فزعمَ أنها قطيفتُه.

(١) القطيفة: قال في «القاموس»: «دِثَارٌ مُخَمَّلٌ». وتفسيره: قطعة من المخمل توضع فوق الثياب والظاهر أنها توضع على المنكبين وما يليهما من الصدر والظهر.

فقال ـ له إياس ـ: ألك بيِّنةٌ؟.

قال: لا.

قال ـ إياس ـ: ائتوني بمُشْط.

فأُتيَ بمُشْط، فَسَرَّح رأسَ هذا، ورأسَ هذا، فخرج من رأسِ أحدِهما صوفٌ أحمرُ، ومن رأس الآخر صوفٌ أخضرُ، فَقَضَى بالحمراء للذي خَرَجَ من رأسه الصوفُ الأحمر، وبالخضراء للذي خرج من رأسه الصوف الأخضر[1].

---

(١) من «تهذيب الكمال» للحافظ المِزّي ٣: ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

٢

ابن سِنَان الخَفَاجي

كان صاحب حلب محمود بن نصر المِرْداسيُّ ولَّى الشاعرَ ابنَ سنانٍ الخَفَاجيَّ على عَزاز ـ التابعة لحلب ـ فاستعصى الخفاجيُّ بقَلْعتها، فأمر محمودُ بنُ نصر ابنَ النحاس أن يكتبَ إلى الخَفَاجي كتاباً يستعطِفُه ويُؤْنِسُه وقال: لا يؤمِّنُ إلا إليك، ولا يَثِقُ إلا بك، وكان بين الخفاجي وابن النحاس مودَّةٌ أكيدة.

فكتب ابنُ النحاس إليه كتاباً، ولما فَرَغَ منه وكتب «إنْ شاء الله تعالى» شدَّد النون من «إنْ» ـ فصارت: إنَّ ـ فلما قرأه الخفاجيُّ خَرَج من

عَزَازَ قاصداً حلبَ، فلما كان في الطريق أعاد النظرَ في الكتاب، فلما رأى التشديدَ على النون أمسك رأسَ فرسِه، وفكَّر في نفسه، وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عَبَثاً، فَلَاحَ[1] أنه أراد: ﴿إنَّ الملأَ يَأْتَمِرون بكَ ليقتُلوك﴾!.

فعاد إلى عَزَاز، وكتب الجواب: أَنا الخادمُ المعترِفُ بإنعام...، وكسر الألف من «أنا» وشدَّد النون وفتحها ـ فصارت: إنَّا ـ.

فلما وقف ابن النحاس على ذلك سُرَّ، وعلم أنه قَصَد به ﴿إنَّا لنْ ندخُلَها أبداً ما داموا فيها﴾ وكتب الجواب يستصوبُ رأيَه[2].

---

(١) فظهر.

(٢) من «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» ٤ : ٢٠١ للعلامة الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى، وانظره عن ولاية محمود بن نصر ووفاته ١ : ٣٣٨، ٣٤١.

١

الخط والكتابة

مما قيل في الخطِّ: القلمُ أحدُ اللسانين، وقيل لنصر بن سيار: فلان لا يخطُّ! قال: تلك الزَّمانة الخفية[1]. وقال ابن التوأم: خطُّ القلمِ يقولُ بكل مكان، وفي كل زمان، ويترجِمُ إلى كل إنسان، ولفظ الإنسان لا يُجاوزُ الآذان، ولا يعمُّ الناسَ بالبيان.

وقيل: الخطُّ لسانُ اليد، وهو أفضلُ أجزاء اليد.

---

(١) هي العاهة التي لا تظهر آثارها على المصاب بها، وذلك لأنها ليست بمرض حقيقي.

وقال إسماعيل: عقولُ الرجال تحتَ أسنان أقلامها.

وقال جعفر بن يحيى ـ البَرْمَكي ـ: الخطُّ سِمْط الحِكَم[1]، به تُفصَّل شُذورها[2]، ويُنْظَم منثورها[3].

وقال بشر بن المعتمر: القلب معدِن[4]، والعقل جوهر، واللسان مستَنْبِط[5]، والقلم صائغ، والخطُّ صيغته.

وقال مَسْلَمة بن الوليد: الخطُّ هو المقيِّدُ

---

(١) السمط: الخيط ينظم به حبات العقد أو السُّبْحة ـ مثلاً ـ فالحِكَم كقِطَع اللؤلؤ تنظم بالخيط.

(٢) قِطَعُها الذهبية.

(٣) أي: يجمع الخط الحكم المنثورة المتفرقة خوفاً عليها من الضياع والنسيان، فتقيَّد بالكتابة.

(٤) المعدِن: مَنبِت الجواهر من ذهب ونحوه.

(٥) أي: مستخرِجٌ للجواهر من معدنها.

للبـاقين حِكَمَ المـاضين، والمخــاطِبُ للعيـون بسرائر القلوب[1].

---

(١) الخط يعبـر عمـا في القلب، فيكتبـه على الصحف فتقـرأه العيون، والنقل من كتاب «ألف باء» للبَلَويّ: ١: ٧٨.

من غرر الأقوال
٢

نصائح ومواعظ

١ ـ قال عمر بن عبد العزيز: مَن تَعَبَّد بغير علمٍ كان ما يُفسِدُ أكثرَ مما يُصْلِح، ومن عَدَّ كلامَه مِن عمله قلَّ كلامُه إلا فيما يَعْنيه، ومن جَعَل دِينَه غَرَضاً(١) للخصومة كَثُرَ تَنَقُّله(٢).

---

(١) هَدَفاً. يريد: من تقصَّد الجدال والمخاصمةَ في مسائل الدين وأحكامه واستهدف ذلك: كثر تنقُّله من رأي إلى آخر، فهو يَرَى هذا الرأيَ اليوم، بحجة الاطلاع على الدليل، وينتقل عنه إلى غيره في الغد، بوسوسة العلم والمعرفة واتباع الحق، وحرية الرأي والفكر.

(٢) من «سنن الدارمي» ١: ٩١.

٢ ـ وقال ابنُ شِهابٍ الزُّهريُّ: ما عُبِدَ الله بشيء أفضلَ من العلم[١].

٣ ـ وقال الإمام أبو حنيفة: لو لم يكنْ مِن صفةِ الدُّنيا إلاّ أن الحقَّ يُعْصَى فيها: لكفى في بُغْضها[٢].

٤ ـ وقال أبو سعيد الخرّاز: إذا بكتْ أعينُ الخائفين فقد كاتَبُوا الله بدموعهم[٣].

٥ ـ وقال أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري: من خَدَم المَحَابِر خَدَمَتْه المنابر[٤].

---

(١) من «تذكرة الحفاظ» ص: ١١٢.

(٢) من «الكواكب الدُّرِّية للمُنَاوي ١: ١٧٦.

(٣) من «الكواكب الدرية» أيضاً ١: ١٩١.

(٤) من «ذيل طبقات الحنابلة» ١: ١٩٤.

مَن عاشَرَ العلماء يُكْرَم

رأيتُ الـطِّين في الحمَّـام يــومـاً
بـكَـفِّ الـحِـبِّ أَثَّــرَ ثـم نَـسَّـمْ[١]

فـقلتُ لــه: أَمِـسْــكٌ أم عَـبيــرٌ
لقــد صيَّـرْتَني بــالحِبِّ مُغْــرَمْ[٢]

أجــابَ الـطِّينُ أَني كنتُ تُــرْبـاً
صَحِبـتُ الــوَرْدَ صيَّــرنـي مُكَــرَّمْ

---

(١) الطين في الحمام: يريد به ما يُسمى عنـد أهل حلب: بَيْلون بوَرْد. الحِب: المحبوب. نسَّم: أعطى رائحة طيبة.

(٢) المُغْرَم: الشديد الحب.

أَلِفْـتُ أكـابــراً وازدَدْت عِلْمـاً
كـذا مَنْ عـاشـرَ العلمـاءَ يُكْــرَمْ[1]

(١) الأبيات أصلها باللغة الفارسية، ونظمها باللغة العربية العلامة الكبير الشيخ بشير الغَزِّي الحلبي المولود ١٢٧٤ والمتوفَّى سنة ١٣٣٩ رحمه الله تعالى.